

لعلهم خدعوك

جمال شاهين

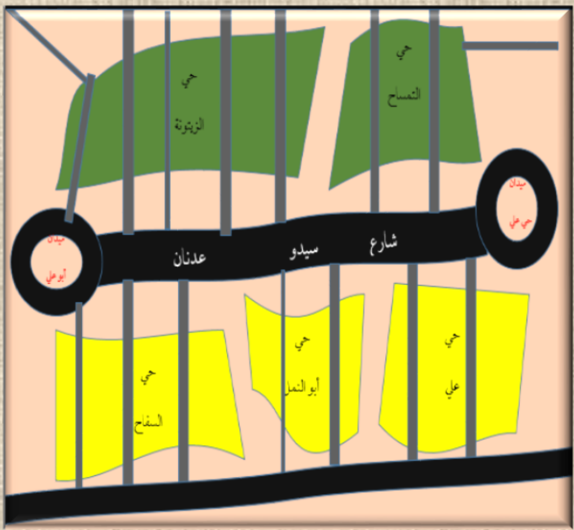
منشورات مكتبتي الخاصة

الروايات الاجتماعية

١٦

جمال شاهين

٢٠٢٥



لعلهم خدعوك

منشورات مكتبتي الخاصة

١٤٤٧- ٢٠٢٥

لعلهم خدعوك

جمال شاهين

قسم الروايات الاجتماعية ٩



شارع سيدو عدنان

١

صديقكم فهمي .. حكايتي كانت في شارع سيدو عدنان مثل حكاية كثير من الناس .. تركت خطيبتي بعد وفاة أمها لأننا كنا سنتزوج بضغط من أمي وأمها

كانت الصديقتان صديقتين من قبل أن نرى الشمس والشروق ونولد

والصدمة أن أمي المطلقة من عقود تزوجت والد مطلقتي الأرمل

فتزوجت فتاة من بلد آخر وعدت للبيت يوما فوجدت الزوجة قد هربت لبلدها

فتبين لي اني كنت تيسا مستعارا وكنت مخدوعا بزواجي منها فقيل لي انك مسحور وعرفت انني مخدوع

فتبت إلى الله وتزوجت الثالثة .. وها أنا أعيش معها لليوم بفضل ربي ولدي أبناء

والغريب أن أبي بدر الدين قد طلق أمي وانا طفل صغير ، ثم تزوجت أختي الأصغر مني وتطلقت هي الأخرى

وكان السبب إسقاطها للحمل غير المرغوب فيه ..

والحمد لله على كل حال

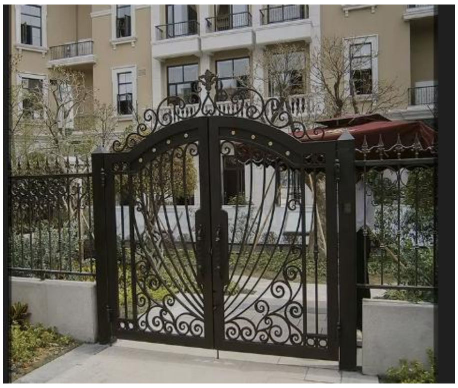
جمال شاهين



لعلهم خدعوك

مدرسة جديدة

رحب مدير مدرسة الحسن البصري بالأستاذ فهمي بدر الدين عندما دخل عليه مكتبه ، وترك مقعده خلف المكتب لمصافحة المدرس المنقول تأديبيا كما قيل له فرحب به وقال لمدرس كان يجلس معه اسمه مالك : الأستاذ فهمي بدر الدين منقول إلينا من مدرسة جرير . مشيرا له بيده اليمنى



فنهض الأستاذ مالك الذي يجلس في غرفة المدير مصافحا للمدرس الجديد وعاد إلى كرسيه كالخائف أن يجلس عليه الأستاذ المنقول إليهم في الأسابيع الأخيرة من العام الدراسي : أهلا ومرحبا أستاذ فهمي ! لم يبق لانتهاء الفصل سوى شهرين كيف ينقل ؟ !

قال فهمي موضحا سبب النقل في وقت عصيب وهو قرب انتهاء الفصل الصيفي لرفع الحرج عن المدير : نقل تأديبي يا أخ ويا أستاذ مالك ! مرحبا بك وبحضرة المدير أبي يزن

قال أبو يزن : أهلا بك تفضلوا بالجلوس . ورجع لمقعده خلف المكتب .

دخل فراش المكتب لما سمع رنين جرس الاستدعاء فخاطبه أبو يزن : أبو خميس ثلاثة قهوة اذا تكرمت علينا

قال فهمي للمراسل : وسط

قال المراسل بهز رأسه : حاضر يا أستاذ !

قال مالك متطلعا في عيني فهمي : ماذا تدرس أيها المنقول تعسفا ؟

ضحك فهمي وقال : أحسنت ! هو نقل تعسفي .. فعلا هذا هو الوصف الصحيح !

قال المدير : كلمني المدير أبو جلال ؛ لكني لم افهم القصد من النقل التعسفي على رأي الأستاذ مالك .. وقال ستفهم من الأستاذ فهمي بدر الدين نفسه عندما يأتيك .

دخل أبو خميس بالقهوة ووزعها عليهم حسب خبرته بمواصفات كل واحد منهم ، وهز فهمي رأسه بالشكر وهو يتناول فنجان الضيافة ، وتمتم مالك " شكرا " أيضا فقال بعد مغادرة الفراش وبعد تنهد عميق : أنا أستاذ مادة علمية .. مدرس مادة الفيزياء للمرحلة الثانوية .. القصة باختصار أني اعتديت على طالبين يبيعان المخدرات في الصفوف الثانوية بعد ترويجهما لها

هتف مالك : حقا ! مدرسة يباع فيها الحشيش !

قال المدير مدعيا الجهل : لم يفصح أبو جلال عن ذلك قال إنك ضربت طالبين وآذيتهما

قال فهمي : صحيح ! هذا الظاهر ..اضطررت أمام وقاحتهما لضربهما كانا يصرخان فيّ ويكذبان أني وجدت معهما حشيشة وأعشاب مخدرة .. يريدان أو زعما انني أبيع المخدرات وأريد تلبيسهما الأمر .. أرأيتم هكذا وقاحة وتربية ؟!

قال مالك مصعوقا : يا الهي ! أهؤلاء طلاب ثانوية ؟!

قال المدير مستوضحا : تدخلت الشرطة

قال ضاحكا : لا ، والد احد الطالبين هو الشرطة .. لفف الموضوع مع أبي جلال بحجة سمعة المدرسة وسمعة الطالبين ومستقبل الطالبين .. أما سمعتي أنا فلا تهم .. فقام مدير الدائرة بحل الإشكال بنقلي إليكم بدعاية التأديب واستخدام العنف ضد التلاميذ الأشراف .. المخدرات خارج القضية .

قال مالك مواسيا : كن مع الله ولا تبالي

فضحك فهمي من جديد وقال : وانا مع مين يا أخ مالك؟! .. هذه قصتي مع الناس .

قال أبو يزن : يظهر لي أن هناك اكثر من مخدرات في المدرسة .. هناك سوابق يا أستاذ فهمي !

قال فهمي ضاحكا : يبدو انك قد سمعت شيئا قبل حضوري

قال أبو يزن : أرجو أن يروق لك العمل معنا .. عندما يحضر المساعد سيرتب لك جدول التدريس .. لا تكرهوا شيئا عسى أن يكون خيرا .. أنت كما وصلني ملفك اعزب

قال : شبه خاطب لي ثلاث سنوات اعمل كانت تلك أول مدرسة اعمل بها

سمع صوت الجرس فنهض مالك : شكرا أخي أبو يزن .. أهلا بك أستاذ فهمي .. سأدخل صفي أنا مدرس مادة الاجتماعيات .. السلام عليكم

قال المدير : مع السلامة .. عسى ألا تشيع هذه القصة بين الطلاب يا أستاذ فهمي !

تبسم وقال فهمي ناظرا للسقف : أرجو ذلك .. ستشيع يا سيدي لتشويه سمعتي وتبرئة الملاعين .. واعلم يا سيدي الفاضل أنا من سكان هذا الشارع .

ـ شارع سيدو عدنان أي حي ؟!

ـ حي علي المقابل لمدرستكم الحسن البصري

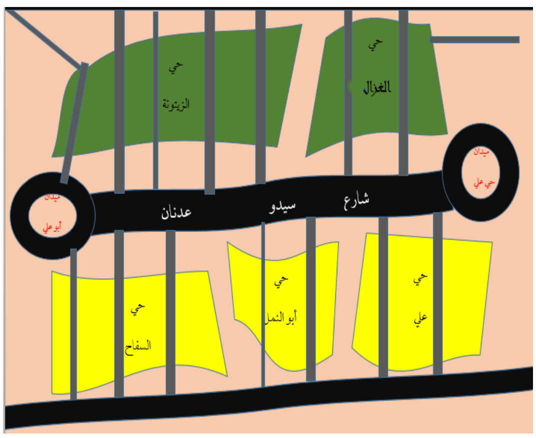
ـ لدينا مدرسون من أحياء شارع سيدو عدنان

ـ بعضهم زملاء ومعارف

ـ مرحبا بك في مدرستنا ..أنا من سكان حي عكاشة في شارع جاب السبع

ـ قريب من شارع سيدو عدنان

***



كانت مدرسة الحسن البصري قائمة في حي الغزال شمال شارع سيدو عدنان وهي مدرسة تتكون من ثلاث بنايات كبيرة كل بناية ثلاثة طوابق والبناية الثانية الوسطى توجد فيها مختبرات المدرسة والمكتبة وصالة الرياضة وعدد طلابها يزيد عن الألفين طالب في المرحلة الثانوية ، الصفوف الثلاثة أول ثانوي ثاني ثانوي ثالث ثانوي وفي كل قسم توجد قاعة للمعلمين حتى يقضي المدرس جلسات الاستراحة قرب طلابه ، ومكتب المدير في القسم الأساسي الرئيسي الأول ، ومكتب مساعد المدير في القسم التعليمي الآخر ، رتب المساعد برنامج مختصر للأستاذ

المنقول ، وكان اغلب برنامجه إشغال حصص غياب المعلمين بعذر أن جدول كل معلم كامل ؛ لأنه لم يكن نقله تبادليا أي معلم مقابل معلم والعطلة الصيفية على الأبواب ، فقبل فهمي مقترحات المساعد بدون مناقشة ، ويعرف ضيق الوقت لتغيير جدول حصص أسبوعي ، بعد مضي حوالي أسبوعين قال سكرتير المدرسة الأول ؛ لأن للمدرسة سكرتيرين بسبب كثرة الطلبة والأعمال الإدارية ، قال نادر السكرتير للقسم العلمي في المدرسة لفهمي : سمعت همسا عن سبب نقلك .

ضحك فهمي الذي كان يجلس في مكتب السكرتير نادر مشعلا سيجارة ؛ لأن التدخين أمام الطلبة وداخل الفصول ممنوع البتة : تأخر سماعك أبا زكريا لي قريب الأسبوعين بينكم

ضحك السكرتير بدوره وقال مبررا : أحيانا يبقى الهمس في الصدور حتى تتاح فرصة للبوح لما في الصدور

ـ معك حق ! ما الهمس الذي سمعته ؟

تابع الابتسام وقال : عن استخدامك العنف ضد الطلبة

ـ فقط

ـ وقيل عن حشيشة ودخان ما القصة اذا أحببت البيان بدون حرج ؟

قال فهمي : لماذا الحرج ؟!كل شخص يتسأل لماذا نقل فهمي آخر السنة ؟الأمر مثير للسؤال الأمر طبيعي يا صديقي لست محرجا من الإجابة والتوضيح ..مدرسة جرير حيث كنت مدرسا فيها منذ تعينت قبل ثلاث سنوات .. مدرسة كبيرة اكبر من هذه .. هي ثانوية تستقبل الطلبة من أنحاء المدينة كلها .. فالسيطرة على المراهقين ليست مهمة سهلة بسبب كبر المدرسة وكثرة طلبتها ، وفريق المناوبة اليومية يعاني من ذلك .. والتدخين بين أولئك الشباب منتشر وشائع ولا تستطيع مراقبة كل الطلاب في فترة الاستراحة أو حتى بين الحصص ولا تستطيع منع طالب بالذهاب لدورة المياه أثناء الحصص وأنت تعلم أن ذلك حجة لتدخين سيجارة .. وفي العادة يكون التدخين سرا وعند المطعم أو عند دورات المراحيض ، وربما تجد مجموعة تتناوب على

السيجارة الواحدة .. والدخان يدخل المدرسة سرا وتهريبا .. فنحن ولربما انتم أيضا تغضون الطرف وتجعلون من أنفسكم لا ترون .. نقل لي بعض الطلبة أن بعض الشباب يروجون لبيع سجائر التحشيش .. لا ادري لماذا نقل لي أنا الاتهام ؟!ولربما لغيري وأهمل الشكوى .. وقبل نقل الاتهام لي حدثت اكثر من حالة إغماء في المدرسة وتجاهلت الإدارة ذلك ، ففي طلبة لا يحتملون سجائر الحشيش أو حبوب المخدرات .. المهم انصدمت بطالبين شرسين ومعروفين لي وللإدارة .. فحدث أن واجهتهما وقلت لهما محذرا : عيب شرب المخدرات في المدرسة أو حتى التدخين .. في خارج المدرسة افعلوا ما شئتم .. فانكروا شرب الدخان والمخدرات ورفعوا أصواتهم عليّ وأنني اتهمهم بدون دليل وأنهم أي الزملاء يشون بهم وصرخوا فيّ فدفعت احدهم عني فدفعني اللعين فصفعته وانهلت عليه باللكمات هو ورفيقه .. وانتهت المشاجرة بفصل الأستاذة بيننا وكان والد احد الطالبين شرطيا . . ولاختصار الطوشة وحل الإشكال تقرر نقلي تأديبيا وأنني شهرت بسمعة الطلاب والمدرسة ؛ كأن المخدرات إشاعة .

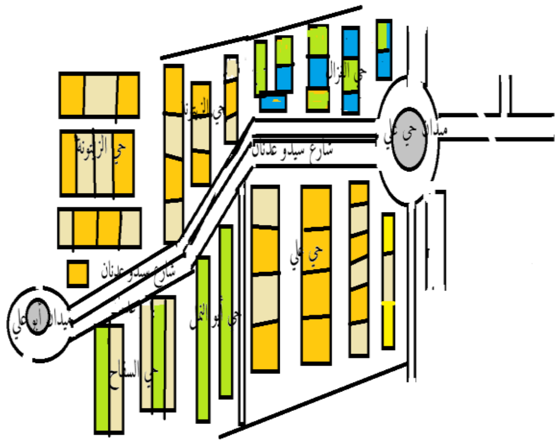
***



شارع سيدو عدنان يمتد بين ميدان الأزهار أو يقال ميدان حي علي لقربه من حي علي السكني ، وبعضهم يسميه أيضا ميدان شارع سيدو عدنان حتى ميدان سيدو أبو علي جنوبا ، وطول الشارع بين الميدانيين بين ٤ كم و٥ كم وعرض الشارع قريب من الثلاثين مترا ، وهو شارع في الاتجاهين ذهابا وإيابا كما يقال (شارعان) يفصل بينهما جزيرة بعرض متر تنتشر فيها الأشجار ، ويحيط بالشارع من الجهتين خمسة أحياء اثنان شمالا حيث مدرسة الحسن البصري ، وثلاثة أحياء جنوب الشارع ، ومن كل جهة شارع

آخر ، وكل حي فيه شوارع طولا إلى أخره من الأعلى وكل حي لا يخلو من مقهى أو اكثر ومتاجر بين الصغير والكبير ، وهناك مساجد تتربع في الجهتين .

واغلب المحلات والمتاجر والمقاهي والمساجد وصالات الرياضة الخاصة تقع أو مطلقة أبوابها على الشارع الرئيسي العام الأكثر حركة وتسوقا ، ولا تخلو الشوارع الفرعية للأحياء من بقالات قرب المدارس والسكان ومقاهي ومحلات بيع أخرى ومطاعم ،كان فهمي يمارس الرياضة في نادي عمو أسامة القابع في حي الزيتونة ، ومالك النادي والمدرب الرئيسي في النادي أسامة جبر ، ومقهاه المفضل في قلب المدينة وأما مقاهي الحي فيتردد عليها قليلا للقاء شخص أو زميل ، فكان جل وقته بعد الدوام الرسمي في قلب ووسط المدينة ؛ حيث السينما والمقاهي الكبيرة والنشاطات الأدبية والثقافية ، ولقاء الأصحاب من أيام الجامعة والمدرسة السابقة ثانوية جرير ، وكان اكثر مقهى يجلس فيه مقهى جمعية عسكر ؛ حيث يلتقي فيه من أيام الجامعة بزملاء الجامعة من كليات مختلفة ، فلما يغادر المدرسة



يضع أغراض وأدوات المدرسة في غرفته ويتناول الطعام مع أمه المطلقة حُسن وأخته مها ، وبعد دخول العصر يغادر البيت لوسط المدينة للسهر واللهو ، ولما يكون له موعد في النادي يقفل راجعا مع قرب صلاة العشاء .. لان اكثر نشاط النادي يكون مساء وليلا حتى نصف الليل .

***

حي علي

كان فهمي يسكن في حي علي أول أحياء شارع سيدو عدنان في شقة تملكها أمه المطلقة حُسن من أبيه بدر الدين ، وأمه حُسن امرأة مطلقة منذ كان عمر ابنها فهمي خمس سنوات ، ولم تتزوج من ذلك العهد البعيد ، ولما طلقها بدر الدين أخذت الأصغرين وهما فهمي ومها ، وأخذ الوالد ابنه البكر إلياس وسهام وأنيس ، وكان يسمح لهم بزيارة أمهم بين فترة واختها ، وكان يرحب بطفليه أيضا فهمي ومها ، ثم رحل الرجل من الحي بعد سنوات من الطلاق ، وترك شقته لمطلقته وولديه ، وعاش في مدينة أخرى لظروف عمله الاكاديمي .

إذن قد تربى الأستاذ فهمي على يد امرأة مطلقة ، عملت زمنا في التمريض في مركز طبي خاص تابع لمستشفى شرف ، ثم تركت التمريض ، وكان أهلها ينفقون عليها أو يساعدونها لما تركت العمل حتى كبر فهمي ، وتخرج من الجامعة فهو تكفل بها وبأخته التي تصغره بعامين ، وهي على وشك إنهاء الجامعة مثله .

كانت أمه قبل أن ينتقل من مدرسة ثانوية جرير إلى ثانوية الحسن عرفته على فتاة ابنة لصاحبة لها رغبت أن يرتبط بها عند الزواج ، وهذه الصاحبة عرفتها من خلال التمريض في المستشفى المذكور وأيضا من سكان شارع سيدو عدنان فتعمقت الصداقة أكثر بهذه الخطبة الشفوية ، وكانت الفتاة تكاد تكون خطيبة وزوجة له ، فقد قبلت به ، وكذلك أهلها ؛ ولكن لم يجر أي شيء قانوني وشرعي بينهم ؛ فلذلك كان يذهب لزيارتها أحيانا مع أمه وتارة أخرى مع أخته ومرات وحده ، وكان سبب تأخير الإجراءات القانونية انتظار تخرج مها من الجامعة وتوظفها ليخف الضغط عن جيبه مع أن الفتاة تدرس على نفقة أبيها .

قرر الليلة زيارة خطيبته سحر موالي في حي الزيتونة شمال شارع سيدو عدنان ، وكان ذلك بعد صلاة المغرب ؛ ليمكث عندهم لصلاة العشاء أو كما يقال ساعة زمان ، ادخله شقيق سحر نعمان الأخ الأصغر لها صافحه أولا وساقة لصالة الضيوف في الشقة ، ثم أقبلت حماته أم جميل صديقة أمه وصافحها هي الأخرى وقال : أين العم أبو جميل ؟

ـ ذهب للجامع .. أهلا بالأستاذ الغالي ابن الغالية فهمي أهلا ومرحبا حبيبي

ثم أقبلت الخطيبة وهي تلبس ثوبا جميلا ، وسلمت وصافحت وجلسا من جديد ، وبعد دردشة قصيرة قالت أم جميل وهي تنهض : أهلا بك .. كيف حال أمك واختك ؟ سأذهب اجلب لكما الشراب ؟

ـ كلنا بخير

قالت سحر : سمعنا أنك نقلت من مدرستك وقد اعتديت على طلاب همل .

ضحك وقال بعد صمت : لا اعتقد أن أحدا لم يسمع بقصة نقلي من كل سكان الشارع !.. لماذا يهتم الناس بمثل هكذا قصة ؟ كل يوم ينتقل المدرسون والطلبة والموظفون

قالت : ليس كل نقل يا سيدي له قصة مثيرة !

ـ ربما معك حق .. ولكن قد لا تكون القصة صادقة يا سحر كيف أنت ومدرستك؟

قالت : لست مرتاحة فيها .. عندنا مديرة لئيمة تحسب نفسها في زعامة معسكر جيش .. هل قصة المخدرات صحيحة؟

جاءت أخوات سحر الأخريات وسلمن على فهمي وخرجن ، ودخلت أم جميل بصينية الشاي وهي تقول : لقد عاد أبو جميل سيحضر بعد قليل

جلست تملأ الأكواب ، وتقدم لكل شخص كوبه ، وعادت الفتاة تسأل عن قصة المخدرات في مدرسة جرير حتى أن أم جميل قالت : سمعت ذلك من امك ، التقيت بها في بيت أم جوبير كانت أمها مريضة ، وكنا في زيارتها فحضرت أم إلياس والدتك وذكر أمر المخدرات التي تباع في المدرسة أصحيح ذلك ؟!

اختصر الشاب القصة وعقب باسما : هذه هي قصة النقل حتى لا تثبت الجريمة على الطالبين خرجوا بتخريجة النقل التعسفي على أني اكذب لتبرير ضربي للشابين

قالت أم جميل : خيرا إن شاء الله !

دخل أبو جميل وتعانق مع فهمي واطمأنا على بعضهما وعلى أهله ، ولما عاد الصمت قال أبو

جميل : قابلت شقيقك إلياس حصة أبيك

قال دهشة : أين؟ زمان ما ذهبت لأبي من قبل مشكلة المدرسة

قال : في قسم الطوارئ ، كان مناوبا فيه انتقل اليه كما يقول حديثا ، ويقول ربما مؤقتا قبل أن يعود لمستشفاه الآخر

ـ في مستشفى شرف ! هذا مستشفى عمتي رفيقة وأمي وأنت

قال أبو جميل : نعم ، عملت أنا فيه حوالي عشر سنين ، وتعرفت فيه على هذه الزوجة الصالحة أم جميل قبل أن انتقل لمستشفى احدث .. ذهبت مع ابن عم لي تعب أثناء العمل فأخذته لمستشفى شرف لمعرفتي لعدد كبير من أطبائه ولقربنا منه

قال فهمي : لما كبرنا قلّت رؤيتنا لبعض .. الحياة تشغل الناس عن الأخوة والاحبة

ـ صحيح يا ولدي! .. هو أخوك متزوج

ـ من اكثر من سنتين.. آخر سنة طب زوجه أبوه ، وعنده حسب ما اعلم طفل سماه على اسم أبيه .. اسم أبينا بدر

قالت أم جميل : على أي قاعدة قبلت أمك التفريق بينكم ؟

قال مجيبا : صدقي لا اعرف يا عمتي ، وجدت نفسي أنا ومها من حصة أمي .. نحن الأصغر كنا .. ألم تسأليها يوما بحكم الصحبة والعشرة ؟

ضحكت وقالت : حصل يا ابني ! لم افهم يومها جوابها بوضوح قالت : هكذا جرى الاتفاق بس .. لم تشرح كيف كان الاتفاق أو قل تفصيل الاتفاق بينهما ؟

قال فهمي مضيفا : حسب ما فهمت بعد زمن طويل بعدما كبرنا أن أمي هي التي رغبت بالانفصال ، فوافق أبي على شرط بقاء الأطفال عنده ، فقبلت أن يأخذ الكبار وتأخذ الصغار

قالت : هذا التفسير سمعته منها .. وهل هذا هو الصح ؟

ـ لا ادري يا عمتي ! وانتقل الحديث للسياسة والأخبار ، ولما شرب القهوة قهوة الوداع غادر البيت شاكرا وقائلا لنفسه : لا ادري من سأتزوج أنا وسحر أم العيلة يا أم جميل ؟!

جمعية عسكر

رجع فهمي ليلا من السينما حيث حضر فيلما فرنسيا ، ولما وقف على رأس شارع فرعي حيث شقة أمه قال رفيقه في رحلة السينما الأستاذ غنوص : إلى اللقاء يا فهمي ، لم يكن الفيلم بالرديء شكرا لك سلم على الوالدة سيدة النساء !

ـ إلى اللقاء وأنت سلم على الأهل . وهو يعجب أن تكون أمه الفاشلة في زواجها سيدة النساء لكنه بلع الوصف ولم يعقب عليه ، فهو يعلم أن الناس تلقي ألقابا اكبر من قامات من تطرح عليهم هذه الصفات .



مشى على رصيف الشارع الفرعي حتى وصل مدخل العمارة فوجد شبانا يقفون تحت ضوء احد أعمدة الشارع يتسامرون ، فألقى السلام وقال : الشباب سهرانون

رد احدهم : هلا بالأستاذ فهمي ..مساء الليل

ـ تفضلوا يا شباب

رد آخر : لولا الليل والوقت لتفضلنا شكرا شكرا

قال فهمي : الأخ عوني ! عرفتك من صوتك .. هل من امر لتقفون تحت الفانوس ؟ ونظر للمصباح في اعلى العمود

قال عوني موضحا : كنا عائدين من مقهى غربة ، وكان جاركم بجير مشغلون معنا وقفنا تحت نور العمود لتكملة الحوار

ـ صح بجير عمرو جار عزيز .. مع السلامة أيها الشباب

ودخل مدخل البناية فقال عوني بعد اختفائه : نقلوه من ثانوية جرير كانوا يرغبون بتدميره

ـ تدميره كيف ؟!

ـ مخدرات تباع في المدرسة .. تمت الطبطبة على المخدرات

فتح الباب بمفتاحه الخاص ، ودخل فوجد أمه واخته تجلسان في صالة البيت تشربان الشاي فألقى السلام ، فقامت مها لإحضار كوب شاي ، وبعض قطع البسكويت المناسب مع الشاي

فقال : سهرانتان !

قالت حُسن : كانت أم جميل وابنتها هنا .

جلس على كنبة ، وتناول الشاي من أخته وصحن البسكويت المحلي ووضعهما على منضدة أمام الكنبة وقال : هل من شيء ؟ أم زيارة عادية

قالت مها بدون تمهيد : البنت لا ترغب بالسكن معنا في شقتنا

قالت أمها : انتظري يا مها .. هو انتم تحدثتم في مثل هذا الموضوع يا فهمي !

ـ أبدا أبدا يا أم إلياس .. وأنا كنت أرى ذلك بديهيا لا يحتاج لمناقشة وجدال .. هل أترككم وحدكم .. ومها مصيرها أن تتزوج مثل بنات الناس .. فهل تعيشين وحدك ؟!

قالت الأم : لا ادري !جرى بيننا حديث عن الخطبة بشكل رسمي مع بداية الصيف وتطرق الحديث عن الزواج والسكن والعمل .. فأظهرت الست سحر رغبتها بالعيش بعيدا عنا بحجة أنها قرفانة من سكان الشارع وراغبة بالتغيير

ضحك وقال : قرفانة! لم يدر بيننا حديث عن ذلك ؛ لأننا لا نجلس وحدنا ..الكل يحيط بنا أثناء زيارتي لهم .. فكلامنا كلاما عاما .. احلى فيلم احلى خبر .. أغنية الأسبوع أو الشهر .. الأغاني التي تنتشر في سيارات الأجرة حين ركوبها ..لست من هواة الأغاني ومتابعتها

قالت مها مبررة مشاركة الأهل الجلسة : ربما بسبب عدم الخطبة رسميا أو كتابة العقد

فأكد ذلك قائلا :ربما هذا احد الأسباب كما قلت .. على كل حال لما تحين ساعة الاقتران الفعلية نرى الأمر ونضعه على جدول العمل

قالت الأم : أنا لن اقبل أن تعيش بدوننا ..الناس لن ترحمنا بالقيل والقال.. لو زارنا غريب عن الشارع لقيل وقال .. الناس تبحث عن قصة وخرافة تتسلى بها

قالت مها : الله ارحم بعباده من كل البشر

قال : وانا لا يمكن أن أعيش بعيدا عنكم .. في الحقيقة أنا غير مرتاح لابنة أبي جميل

قالت مها : مالها ؟! مدرسة مثلك .

قالت أمه : لماذا ؟! وهل تختلف عن بنات الناس ؟ أمها صديقة منذ زمن بعيد ، ولم اسمع عنهم شيئا مريبا.. أسرة كلها متعلمة

قال : لدي شعور بأنها متكبرة .. طموحها اكبر من مدرس مثلها

صاحت مها : متكبرة ! هل خرجت معها لتعرفها ؟ أنت تقابلها في البيت ، لم يكتب الكتاب ولم تصبح خطيبة رسمية ليسمحوا لك بالخلوة معها أو الخروج معها

قال محبطا : الزيارة لهم عبث .. عندهم حرص شديد أن لا نجلس معا على انفراد

***

التقى فهمي في مقهى جمعية عسكر في قلب المدينة مع أستاذين تعرف عليهما أثناء شغله في مدرسة ثانوية جرير ، والثلاثة رفقاء مدرسة ورفقاء مقهى ، ويتشاركون في الحياة الاجتماعية والثقافية والنشاط الرياضي ، فبعد التحية قال رضوان أحنف : كيف المدرسة الجديدة ؟

فقال الآخر محمود محمد : لعلك مرتاح عند أبي يزن سعيد .. أنا اشتغلت في تلك المدرسة من سنوات قبل انتقال الأستاذ أبي يزن إليها ؛ لكني اعرفه جيدا ؟

قال فهمي مبتسما : لا ادرس ، عملي فيها إشغال الغيابات والثرثرة مع مدرسين في حصص فراغهم .. لم اصطدم بأحد ؛ بل هم مشغولون بقصة نقلي وعنفي مع طلبة جرير

قال رضوان مفسرا : الناس ما بتصدق أن تجد حكاية لتثرثر حولها وتنشرها ؛ كأنها خبر دولي أو إعلان حرب.. مرتاح مع المدرسين .

ـ لا اختلط كثيرا بهم أو هم يتجنبون إطالة الجلوس معي ؛ كأنني وباء .. مع أن بعضهم من سكان أحياء شارع سيدو عدنان نفس شارعنا .. لحتى الآن علاقتي باردة معهم ، ومن اعرفه قبل تعييني أصلا مجرد السلام دون أي كلام

قال محمود بعد صمت : ولليوم القصة لم تنته في المدرسة

قال رضوان بيأس : ولن تنتهي أتوقع .. ستورث للعام القادم .. كأنها أول مرة يتعرض طالب أو اكثر للصفع واللكم والضرب

قال فهمي متأملا : القصة اكبر منذ ذلك يا أبا عزام!

قال محمود مؤكدا خواطرهم : فعلا القصة اكبر من ذلك .. بقي أسبوعان للعطلة الصيفية سنذهب لسوريا ولبنان لقضاء أسبوعين فيهما نرتاح من غثاء السنة ..ما رأيك بمرافقتنا إليهما بداية الإجازة ؟

قال صافنا : وحدكما .

ـ وحدنا بدون نسوان وبدون أطفال

قال فهمي : أنت يا محمود لك أقارب في سوريا .. حسب ما أذكر

قال رضوان موضحا نيابة عن محمود : أخواله هناك .. أمه من جهة حلب .. بلدة حلبية.. بس رحلتنا شمة هوا للشام دمشق وطرابلس وقد نزور بيروت.. فالحرب الأهلية شبه توقفت بسبب اتفاق الطائف أواخر العام الماضي بين اطراف الصراع الطائفي .

❋❋❋

الطائف المنسوبة إليها الاتفاقية المشار إليها مدينة حجازية سعودية قريبة من مكة المكرمة، اتفاق الطائف هو الاسم الذي تعرف به وثيقة الوفاق الوطني اللبناني التي وضعت بين الأطراف المتنازعة في لبنان ؛ وذلك بوساطة سورية - سعودية في ٣٠ أيلول سبتمبر ١٩٨٩ في مدينة الطائف وأقرها لبنان بقانون بتاريخ ٢٢ تشرين الأول أكتوبر ١٩٨٩ منهياً الحرب الأهلية اللبنانية، وذلك بعد أكثر من خمسة عشر عاماً على اندلاعها وصدق عليه البرلمان اللبناني في ٥ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٨٩ وما زالت سارية المفعول بين المتصارعين اللبنانيين

❋❋❋

قال فهمي بعد تفكر : أنا بحاجة لرحلة وتغيير جو .. سأفكر بجد في الموضوع ..هل معكم غيركما ؟

قال محمود : قد يذهب معنا ابن عم لي المهندس جراد .. اعتقد انك تعرفه.. جلس معنا هنا مرات .. كان يأتي لمقابلة معلمي بناء حجر

قال متذكرا صورته : أظن انني سلمت عليه اكثر من مرة .

ـ نعم

قال رضوان : كان بشرب الشاي معنا ، ثم يقابل المعلم رشوان الطوبرجي ، ثم ينصرف لا يحب لعب الشدة حسب كلامه

قال محمود : صحيح ، قد يرافقنا لسوريا أو لبنان وحدها فهو يحب السياحة في الأرض

قال فهمي : سأفكر جيدا بهذه الرحلة .. قد تكون حفلة خطبتي هذا الصيف

ـ نفس البنت بنت أبي جميل

قال : نعم ، بنت أبي جميل الشعبان

قال رضوان : الله يتمم على خير ومبارك أيها الزميل المحترم

***

انتهى الفصل الدراسي الصيفي أو الفصل الثاني وتقدم الطلبة لامتحانات الفصل الدراسي وقبل أن يغادر فهمي مدرسة البصري كسائر المدرسين انفرد به المدير قائلا : سأطلعك على امر يا أستاذ فهمي !

جلس على كرسي بجوار مكتب أبي يزن وقال : تفضل

ـ أنت تعلم أنك جئت إلينا بدون حاجة للمدرسة بمدرس مادة الفيزياء لجميع مراحل الثانوية

تنهد وقال : علمت ذلك وعشته هذين الشهرين

ـ كان نقلك لمدرستنا لحدوث مشكلة عاصفة في مدرسة جرير

ـ معلوم

قال المدير : كنت قبل انتهاء الفصل في لقاء جمع المدراء مع رئيس الإدارة للمدارس الثانوية في المنطقة وحدثني الأستاذ صلاح أنك قد تنقل لمدرسة تحتاج لأستاذ فيزياء الموسم القادم ؛ لأن المدرسة هنا كما رأيت لا تحتاج لمدرس هذه المادة

ـ علمت ذلك .. المطلوب

ـ أحببت أن تعرف ذلك القرار قبل صدوره .. وحتى لا تتفاجأ بالنقل مطلع العام الدراسي القادم في الخريف وتظن أنني طلبت نقلك .. فليس بينك وبيني أي إشكال

ـ نعم ، نعم .. أشكرك يا سيدي

ـ الأمر ليس بيدي .. ولم يطلب أي مدرس فيزياء الرحيل والانتقال .. فأصلا نقلك لهنا غلط أنت لمست ذلك بنفسك !

ـ لمست ذلك فعلا .. ولم ادر لماذا نقلت لمدرسة الحسن وهي ليست بحاجة لمدرس فيزياء ؟

ـ تهدئة للمشكلة ؛ ولأنهم وضعوا اللوم عليك ؛ وربما لأنك من سكان شارع سيدو عدنان لتصمت.. فقد يؤدي النقل البعيد لثرثرة وزمجرة

ـ قد يكون هذا سبب الاختيار .. هل بقي شيء ؟

ـ شكرا لهدوئك .. أنت أستاذ محترم ! لكن مشاكل التدريس والطلبة والإدارة لا تنتهي يا صديقي في كل مدارس الدنيا .. والعملية التربوية ستمضي بسلبياتها وإيجابياتها

ـ صحيح .. إلى اللقاء أبا يزن

ـ لو المدرسة بحاجة لك لتمسكت بك إلى اللقاء

***

أجواء دمشق العريقة

في مطلع العطلة الصيفية ١٩٩٠ سافر فهمي إلى الشام مع زملاء مدرسة جرير ومقهى جمعية عسكر ، وفي الشام دمشق استمتع الرفاق قبل مغادرتها لطرابلس استمتعوا بمسجد بني أمية وأسواقها الشهيرة ومأكولاتها الزهيدة والطيبة .. الشام تلك السنة كانت تخضع لحكم حزب البعث العربي الاشتراكي حزب قومي ظهر فترة بروز القومية العربية مطلع القرن العشرين .

***

أسواق دمشق تزيد عن خمسين سوقا ، ومن أشهر أسواق دمشق القديمة هي سوق الحميدية، وسوق البزورية، وسوق مدحت باشا، وسوق الحرير، وسوق الخياطين، وسوق العطارين، وسوق النحاسين .

يعتبر سوق الحميدية الأكبر والأشهر بينها، ويتميز بسقفه المقوس وعمارته العريقة ويعد سوق الحميدية الأشهر بين أسواق دمشق التاريخية، يمتد من بوابة الصالحية إلى المسجد الأموي ، ويشتهر بسقفه المقوس، وواجهاته التي تجسد طرازاً معمارياً عريقاً ، وفيه تتنوع البضائع المعروضة ، من السجاد اليدوي والأقمشة الدمشقية المطرزة، إلى التوابل والعطور التي تملأ المكان برائحة الشرق العتيقة.. بُني السوق على مرحلتين، الأولى في عهد السلطان العثماني عبدالحميد الأول عام ١٧٨٠م ، حيث أطلق اسمه على السوق ، وبسبب تعرض السوق لعدة حرائق تم استبدال سقفه الخشبي بسقف من الحديد والتوتياء، ويشتهر ببيع جميع أنواع المطرزات والأجواخ وأدوات الزينة والأقمشة الحريرية والملبوسات النسائية، تمثل أسواق دمشق القديمة طابعاً مميزاً لها، وقلما زائر لمدينة دمشق لا يعرج على أسواقها القديمة ليمتع ناظريه باللوحة الفنية التي تنسجها هذه الأسواق ، ومازالت عشرات الأسواق القديمة في دمشق قائمة حتى الآن حيث عدد الأسواق الدمشقية يصل إلى ٥٥ سوقاً منها ٢٥ سوقاً مغطاة في حين أزيلت بعض الأسواق كسوق المسكية لإظهار جدران الجامع الأموي ، وسوق الخجا لكشف جدار قلعة دمشق ، والملفت للنظر أن هذه الأسواق متصلة مع بعضها البعض ليتمكن

الزائر من زيارتها جميعها دون الشعور بالملل لما تحتويه من تنوع في معالمها.

***



تواعد الثلاثة مع المهندس قاسم شاية زميل المهندس جراد عبد الرؤوف للقاء في حي القيمرية ، وهو حي قديم من أحياء دمشق القديمة في سوريا، ويقع ضمن سور المدينة القديمة حاليًا يعد أحد أهم الوجهات السياحية ضمن دمشق لحفاظه على روحه التراثية وبيوته القديمة، وقُربه من الجامع الأموي .

وهو من الأحياء الدمشقية العريقة وتكثر فيه المطاعم والمقاهي السياحية، كان الحي مركزًا تجاريًا وصناعيًا هامًا في قلب دمشق القديمة ، واشتهر بصناعة الأقمشة والأنسجة والتطريز.

تعود تسميته حسب السكان المحليين إلى شيخ عاصر زمن الفتوحات الإسلامية يُدعى «قيمر» وأُطلِق اسم القيمرية نسبة له في ذلك الزمان .

اتفقوا أن يكون اللقاء في مقهى النوفرة أو مقهى تمر حنة في نفس المنطقة والأول من أقدم المقاهي وأفضل مقاهي دمشق ويعتبر مكان تاريخي عريق يبلغ عمر المقهى أكثر من ٥٠٠عام .. تتوفر فيه جلسات هادئة بجوار الجامع الأموي.

وأما مقهى تمر حنة فيتميز بجلساته الجميلة والأنيقة التي تعكس الطابع الشامي الأصيل، ويوفر ويقدم المقهى مجموعة متنوعة من المشروبات الساخنة والباردة ، بما في ذلك الشاي والقهوة والعصائر والمشروبات الغازية.

فاختاروا مقهى تمر حنة مكانا للقاء ، التقى الشباب الثلاثة بصديق للمهندس ابن عم محمود حيث درسا الهندسة في جامعة دمشق المهندس قاسم شاية ، ولما عرف أن الأستاذ فهمي اعزب عرض عليه أن يساعده بالزواج من قريبة له من مدينة حمص ، فالشاب اصله من أبناء حمص ،

ولما علم انه شبه خاطب قال : جيد اذا لم يتم اقترانك، فلدي قريبات في سن الزواج ، فنحن بناتنا تقبل الزواج من الأغراب دون تردد فصاحبك محمود أمه من بلادنا

ـ اعرف أم فاضلة

وبعد التعارف دعاهم قاسم لحفلة شواء في احد مطاعم القيمرية ، فالحي يعج بالمقاهي والمطاعم الدمشقية والحلويات ورغبهم بعد الطعام بالكحول فقال جراد : ابن عمي لا يشرب الخمر ولا زميليه فلا داعي لها الآن

فقال فهمي : أتشربها يا مهندس جراد ؟

فقال ضاحكا : لست شيخا مثل محمود ورضوان .. اشربها في المناسبات .. تعلمتها هنا أيام الجامعة .. محلات الخمور لا تغلق يا بطل حتى في العم رمضان .. أنا لاحظت انك مثلي لا تصلي يا أستاذ فهمي !

ـ لم أتعلمها للأسف !

ضحك قاسم : ولماذا تأسف يا ابن الحلال؟ اغلب المسلمين اليوم لا يصلون ولا يصومون .. على كل حال عندما ترغب بالزواج من سورية سأساعدك .. هنا ممكن أن تتزوج فتاة لمدة مؤقتة

قال محمود : كيف هذا ؟

قال جراد : هناك مذاهب دينية تبيح الزواج المؤقت

قال رضوان : وهل هذا زواج ؟!

قال قاسم : نعم ، إنه زواج .. بدل أن يكون الزواج حتى ساعة الطلاق أو الترمل فيختار الزوج زمنا ينتهي به الاقتران

قال فهمي : زواج غريب

قال جراد : اليوم أشكال الزواج كثيرة .. هل سمعتم بالزواج العرفي ؟

قال رضوان : سمعنا به وقيل انه شائع في مصر وكثير من الجامعات العربية .. وهل هو الزواج بزمن معين ؟

قال قاسم : قريب منه .. كله زواج .. هيا جراد نزور ملهى لنشرب بعض الخمر

قال جراد : أراكم في الفندق يا شباب ! طعام مثل هذا يحتاج لتهضيم .. فالكحول مادة مساعدة على الهضم .

قال محمود : مادة مساعدة على الصداع وضياع العقل .. ابن عمي يشرب الخمر من أيام الجامعة كما قال لكم .. تمتعوا كيف شئتم ؟.. سنتمشى في شوارع دمشق بعض الوقت ونتدرج للفندق

سلم قاسم على الشباب وقال : كان بودنا لو تذهبون معنا للكيف والسهر فهنا أماكن جميلة للرقص والبارات

قال رضوان : مع السلامة .. نحن قوم يصلون ، ولا عمري شربتها في أيام حياتي الماضية ولا تلصصت عيناي على رقاصة

قال قاسم مقهقها : كلامك غير صحيح .. ألم تحضر في حياتك فيلما عربيا لراقصات مصر أو لبنان أو سورية أو أفلام تركيا أو فيلم أمريكي ؟ لا يكاد فيلم يخلو من الخلاعة يا سيدي الشيخ .. نحن نشاهد السيقان والأفخاذ بدون تصوير على الطبيعة.. سلام

تصافحوا وافترق المهندسان عنهما ، تابع الشباب سهرتهم في شوارع الشام حتى كمل الأسبوع ثم توجهوا للبنان بسيارات الأجرة ؛ فلبنان كان جزءا من سوريا قبل احتلال غورو الفرنسي لسوريا بعد الحرب الأولى وظهور سايكس بيكو على ارض الواقع .

***

خطوبة

بعد انتهاء رحلة سوريا ولبنان بأسبوع كانت حفلة خطوبة فهمي وسحر الشعبان وتم كتابة عقد الزواج الشرعي والاتفاق على الزواج قبل بداية الموسم الدراسي القادم ، فكلا الخطيبين يعملان في التعليم ، وأظهرت الفتاة رغبتها بالعيش وحدها في بيت مستقل دون أمه أو أخته فقال : سأقبل ذلك حتى تتزوج مها ، لن اقبل أن تبقى أمي تعيش وحدها .. فهذا اقل الواجب اتجاهها يا سيدتي !

قالت بعجرفة : وهل سترانا سنعيش في شارع سيدو عدنان ؟! عليك أن تجد شقة في منطقة أخرى ..ألا يكفي ربع قرن فيه ! لقد مللت منه ومن ناسه .. لنجرب شارعا آخر .

صمت للحظات كأنه يفكر بكلامها وقال : الأولية له الآن .. لما يتيسر زواج أختي مها نفكر بتغيير الحي .. المهم أن تعيش أمي معنا .. أنا لست مربوطا بحي علي أو أي حي من أحياء الشارع .. لا يهم أين نسكن ؟

ـ لماذا لم تتزوج امك بعد طلاقها ؟

قال ممتعضا : ربما أمك اعلم مني بهذا الموضوع ، فهما صديقتان قبل طلاقها وقبل زواجهما وهذه الصداقة هي التي قربتنا لبعض ، وجعلت الزيجة بيننا واقعا

هزت رأسها مستسلمة وقالت : صحيح .. أنا لا أكره أمك .. لا تفهم من كلامي هذا المعنى

ـ الحب والكره يعود لتربية الإنسان ومشاعره

ـ اليوم الحياة صعبة مع الحموات .. لقد عانت بعض أخواتي من ذلك .. حتى نحن تعبنا من ذلك

قال متفلسفا : أين تذهب الأمهات ؟ اذا مرضت من سيهتم بها ؟

أجابت على الاستفهام الفلسفي : هذه يجب أن تكون مسؤولية كل الأخوة والأخوات

ـ أنا الذي عاش معها يا سحر ! فالواجب عليّ اكثر من كل الأخوة

ـ عندما تتزوج مها نحسم الأمر .. فلأمك حق على الجميع يا فهمي من حقها الرعاية منك ومن

غيرك .. فالأم حصة الجميع ومن مسؤولية الجميع

ـ لا يمكن أن افرط فيها يا سحر ! كما لم تستغنِ عني صغيرا ؛ فلن استغني عنها كبيرا منذ وضعتني وهي ترعاني وتدير أموري .. لا تفكري بإبعادها عني .. وإخوتي لو أحبت أن تعيش معهم سيرحبون بذلك .. فنحن نتواصل معهم باستمرار .. لم يطب لها العيش مع أبي وكنت من نصيبها ووالدي لم يتخل عنا كل دراستنا على نفقته .. وهذه الشقة تركها لنا هي ملك لابي ابتداء .. لم ترتاح للبقاء على ذمته

ـ لماذا أتحمل أنا وحدي حياتها معنا ولك أشقاء ؟!

قال بحيرة : أنت لماذا اصطنعت عقدة أمي قبل أن نعيش تحت سقف واحد كما يقولون ؟

ـ حتى لا تقول أنت لا تحبين أمي يا سحر

قال محتدا : أنت فعلا لا تحبين أمي وإلا لماذا كل هذا الكلام والتشاؤم ؟

ـ ليس بيني وبينها لليوم شيء لأكرهها يا فهمي ! لكني تعلمت من حياة شقيقاتي اللواتي تزوجن مع حمواتهن .. صراع نزاع سب شتم لعن صباح مساء

ـ ليس كل الحموات واحد .. لما تحدث المشاكل نجد لها حلا؛ وليس قبل أن تحدث

ـ أحببت أن تفكر بذلك حتى لا تصدم غدا

***

قررت مها بدر الدين بعد إعلان خطبة شقيقها المدرس الشاب فهمي أن تلتحق ببرنامج الماجستير بعدما أنهت بكالوريوس تخصص العلوم الطبية المخبرية ، وهذا التخصص هو تخصص يستخدم التقنيات الحيوية والأجهزة لتحليل عينات الجسم المختلفة وذلك لمساعدة الأطباء في تشخيص وعلاج الأمراض المختلفة ومراقبة حالة المريض العامة ، وهذا التخصص يتيح الفرصة للخريج للعمل كفني متخصص في المختبرات الطبية.. وأما نظام الدراسة في برنامج العلوم الطبية المخبرية هو نظام فصلي تمتد الدراسة فيه لمدة أربع سنوات ، يتم خلالها تمكين الطالب من الأساسيات النظرية والعملية لمختلف العلوم الطبية المخبرية والتي تشمل

علم الدم وبنك الدم والكيمياء السريرية والأحياء الدقيقة الطبية والطفيليات الطبية والفطريات الطبية والفيروسات والمناعة الطبية والأمصال إضافة إلى البيولوجيا الجزيئية والتحضيرات المجهرية والأجهزة المخبرية وطرق القياس وضبط الجودة وإدارة المختبرات الطبية والسلامة المهنية الصحية وأخلاقيات مهنة المختبرات الطبية ، ويتضمن البرنامج تدريبا ميدانيا في مختبرات المستشفيات المعتمدة لدى الجامعة للتدريب في السنة الرابعة من البرنامج. . كان هذا العلم يدرس ضمن العلوم الحياتية ثم اصبح منفصلا بشكل عام .

قررت الشابة أولا دراسة الماجستير في علم المختبرات ثم الدكتوراه .. ووعدها والدها بالدعم المادي ؛ فالرجل يحب أهل الطموح في الدرجات العلمية .

باشرت العمل في مختبرات خاصة أثناء صيف ١٩٩٠ لتتمكن من دراسة الماجستير ماجستير علوم حياتية لمدة عامين ، اعترض فهمي بداية لتكاليف الدراسة ، ولما تيقن أن مها ستتكلف ساعات الفصل سكت وتمنى لها التوفيق .. وأن والدهما سيساهم بتدريسها فلزم الصمت فهو على وجه زواج ويحتاج لمال ، فالزواج يكلف الكثير من المال في هذا الزمن يحتاجه للمهر وللإثاث والأدوات المنزلية من ثلاجة وغاز الطبخ وغسالة للملابس ومكيفات الهواء وغير ذلك من الممتلكات ، وفوق ذلك حفلة الزواج وثياب العرس والمكياج وبدلة العرس ، كماليات كثيرة ، ذهب الزواج البسيط والسهل مع تطور الحياة المدنية

قالت له : تعاقدت مع مختبر خاص للعمل نصف يوم .. وأما تكاليف الفصول سيدفعها أبي وأنت لن تتكلف شيئا ، وأجرة عملي سأصرفها على نفسي وثيابي ، وقد اساهم في نفقة المنزل لتتمكن يا فهمي من ترتيب امر زواجك واستئجار شقة وتأثيثها

قال : اشكر لك تعاطفك مع جيبتي .. وستكون الشقة قربكم حتى تتزوجي فنستقر مع أمي هكذا اتفقنا مع عيلة الشعبان ، سأكون قريبا منكم

قالت امه : وهل وافقت نمرة أبي جميل على الخطة ؟ .. آه ! لو كنت تراها كيف كانت تتملس بي قبل أن نسعى لخطبها ولولا صداقتي مع رفيقة لأنهيت الموضوع

قالت مها : هكذا طبائع الناس .. وهل هذا طريق جديد ؟ ألا يقال تمسكن حتى تتمكن

قالت حُسن : هذا المثل أو الحكمة تنطبق على سحر

قال متنهدا : الأمر خرج من أيدينا .. وانا طاوعتك بالزواج منها من أجلك ومن اجل صحبتك لأمها .. والدها طيب ومحترم ويحسن المجاملة .

قالت مها بعد صمت : حتى مصروف البيت لما تتزوج سنعفيك منه حتى لا تعيرك بانك تصرف علينا

قال ساخطا : والله هالبنت ما هي داخلة لي من زور

قال حُسن: الحياة تحتاج لتحمل يا فهمي .. لا تستطيع أن تأتي بامرأة تفصلها على كيفك .. ولا احد كامل .. الناس درجات .. أنا تزوجت أباك وبعد خلفة خمسة انفصلنا

قالت مها : لماذا ابتعدتم عن بعض ؟

قالت : خلاص كرهته واصبح قبيحا في عقلي وفكري

قال فهمي : رغم عيشنا معك لم نكرهه أنا ولا مها

قالت : على رأي أختي صبح مسحورة .. احدهم عمل لي عملا خبيثا فكرهته

ضحكت مها وقالت : من هو الذي يكرهك وصنع لك العمل أو السحر ؟ فامرأة أبي لا تعرفك قبل زواجها من أبي

قالت : وما يدريك أنها لا تعرفنا ؟!

***

تفاجأ الشارع العربي الذي لا يتابع الأخبار والسياسة في نهار الثاني من آب باحتلال الجيش العراقي لبلاد الكويت ، فدهش فهمي وغيره للحدث وأسبابه وتوتر وسخونة الشرق الأوسط لهذه المغامرة الصاعقة ، ثم ظهرت تهديدات أمريكا والغرب للعراق وجيشه وطلبهم بمجلس امنهم انسحاب العراق من غير قيد وشرط ، وتسارعت الأحداث والتحالفات ، والانقسام الجديد في الشارع السياسي العربي بين داعم للعراق في مغامرته ومنهم أدان العملية والجريمة

ومنهم لزم الصمت لحين ؛ ربما طمعا ببعض المال الخليجي ، وبدأت الحشود الدولية تزحف للخليج لطرد قوات العراق من الكويت والخوف على احتلال العراق .. تجمعت جيوش كثيرة فهل فقط لتحرير الكويت أم لاحتلال بغداد ؟!

الناس تسألت عن دوافع الاحتلال ، فالعراق لم يكد يخرج من صراعه مع ايران حيث خاض حربا ضروسا معها لمدة ثماني سنوات متتابعة ، وامتلأت الصحف والمجلات والمحطات الإخبارية عن العراق والكويت والحشود الدولية لإذلال العراق الغازي الجديد .

***

وقبل انتهاء إجازة الصيف في أواخر آب تعرضت زوجة أبي جميل الشعبان الممرضة رفيقة المتقاعدة لحادث مؤلم لم يمهلها طويلا ، بعد أسبوع من الحادث المقدر فارقت الدنيا إلى رحمة الله تعالى .. وأقامت أسرة أبي جميل واهل المرأة الميتة صيوان عزاء كالعادة لمدة ثلاثة أيام ، وكغيره قدم فهمي العزاء لأهل سحر جميعهم ، وشاركهم الجلوس طيلة الأيام في الصيوان حيث يقدم للناس الماء والتمر والقهوة العربية ووجبة طعام عن روحها لمن يحضر لديوان العزاء ، ونتيجة لهذا الحادث الصاعق تأجل زواج فهمي وسحر إلى حين آخر يتفق عليه لاحقا ، وقبل نهاية أيلول ١٩٩٠ فتحت المدارس العربية أبوابها للتلاميذ ، وكما اخبر أبو يزن فهميا قبل بداية عطلة الصيف عن قرار انتقاله مطلع الموسم الدراسي الآتي ، انتقل المدرس إلى مدرسة في غرب المدينة مما دفع فهمي لشراء سيارة بمساعدة أو قرض من أبيه ، ومضى شهر أيلول كاملا ونصف أكتوبر ومشكلة الكويت والعراق تخيم على وضع الشرق ، والغزو العراقي والغزو الغربي والدولي لإخراج العراق من الكويت ، ولم يفلح الضغط العربي والغربي السلمي من إقناع قادة العراق بالانسحاب ، وكان الحدث حديث الناس ؛ وبما فيهم مدرسو المدارس وحتى طلبة الثانوية وحديث الأسواق والمقاهي والنوادي ، وقد رأى البعض أن الحل العسكري قادم لتحرير الكويت ؛ فلذلك كان فهمي يجاري الزملاء والرفاق في السماع والتعليق مع أن السياسة والتيارات السياسة لم يكترث لها وهو في الجامعة وبعد الجامعة حتى أنه لا يحب قراءة الصحف

والمجلات إلا الذي لفت احدهم نظره لخبر مثير ، واحيانا اذا جلس في غرفة المدير أو السكرتير ووجد جريدة تطلع عليها أو فتح صفحة الدعاية للأفلام السينمائية في دور السينما أو حفلة غنائية في مكان داخل المدينة أو مباراة رياضية مثيرة .

في شهر نوفمبر طلبت سحر من فهمي الانفصال وإلغاء الزواج ، وكان الرجل متوقعا ذلك من أيام شبه الخطبة وتركت أمه الخيار له ، وأن الأمر يعنيه وحده ، لأنه بدا له أن الكثير من الأمور عالقة بينهما ؛ وربما الذي عجل لها بأخذ هذا القرار والرغبة موت أمها رفيقة أمه ، وبعد حوارات بينه وبينها وبين والدها وإخوتها قبل الجميع فكرة الانفصال بينهما لعدم الانسجام وإصرار سحر العيش خارج شارع سيدو عدنان بعيدة عن أهله وأهلها ، حصل الطلاق الرسمي ، وأعيدت له أمواله التي دفعها كمهر وتنازل عن تكاليف حفلة الخطبة والهدايا ، وفي آخر جلسة قال لها : لا اعرف لماذا ترغبين بذلك ؟

ـ تريد الصراحة

ـ وهل هناك احلى من الصراحة يا بنت الناس ؟!

ـ أنا قبلتك بضغط كبير من أمي ، لم أكن مقتنعة بالزواج منك .. كانت صديقة لأمك غير أنهما جارتان ، لقد عملتا في المستشفى معا .. لم تقبل أمي اعتراضي قالت زواجك منه مهم لي ولأمه

وقال متحمسا : وأكون معك صريحا أنا مثلك لم اقتنع بالزواج منك لولا ضغط أمي

قالت : ادركت ذلك من أول جلسة بيننا ؛ لكن المرحومة كانت مصرة على زواجنا ولزم أبي الصمت وترك الأمر لها

***

صداقة

رغم المفاوضات الماراثونية لتخفيف التوتر بين العراق والغرب ، أجراس الحرب كانت اقوى من الجميع لخبث النوايا بين اطراف الصراع المرعب ، ولم يحصل أي هدوء بين الأطراف كلها الكل ينتظر ساعة الصفر لإشعال المنطقة ، أثناء دراسة الماجستير تعرفت مها على شاب يدرس معها نفس البرنامج ، فبعد كذا جلسة شاعرية ، فاتحها دانيال بحصة برغبته بالزواج منها في نهاية الفصل الأول من الماجستير أي في شهر يناير أو أول فبراير العام القادم ، رغم أنها لم تعرفه بشكل جيد ؛ إنما معرفة الشهور الماضية معرفة أكاديمية ، وافقت مبدئيا كما يقال على فكرة الزواج منه ولم تصده ، وأمها حُسن ترددت بالقبول به قبل معرفة عميقة لأن الزواج علاقة طويلة للأبد تحتاج لبطء في الاختيار خشية الفشل وضياع الأطفال بين الزوجين كما حصل بينها وبين أبيها ، ورفض فهمي زواجها من رجل غامض مجرد رفيق دراسة فصل أول بينهما ، فقال بحدة : ماذا تعرفين عنه ؟ زميل دراسة لا يكفي هذا لمشروع زواج .. نحن وآل الشعبان نعرف بعضنا بعضا منذ سكنا هنا ولم تتيسر الأمور ..

قالت موضحة وهي تضع كوب الشاي على طاولة صغيرة : يا أخي يا فهمي أنت من البداية لم يكن يعجبك اختيار امك .. ما ذهبت اليهم مرة إلا جئت تتذمر .. وانا لست طفلة لتتحكم أنت في مصيري وحياتي .. لا داعي لنضحك على بعض .. وأنا كلفت أبي بمعرفة أهله

صرخ بغيظ : صار لك أب !

ـ ما بك مغتاظا ؟ لي أب منذ ولدت .. وهل خيرت بالحياة معه أو مع امك ؟ امك هي التي تفاوضت على عيشنا معها .. وليست أمنا المرأة الوحيدة المطلقة في العالم

كانت حُسن تيسير شامة تسمع وهي تتلون قهرا وغيظا من تناقرهما ولم تتفوه فقال : وهل طلبت أن أسأل عن أهله ورفضت ؟

صاحت ضاحكة : أنت رفضته قبل أن أكمل حديثي عنه قلت بعد الدراسة فكري يا مها .. كأن العرسان في متجر تنتظر الفتيات ابتياعهم .. أنا قبلت به خطيبا حتى يمكننا أن نعرف بعضا

اكثر .. ثم نقرر إكمال القصة حتى اذا رآني احد معه لا يتكلم بحقي وحقك وكل العيلة

استسلم فهمي لوجهة نظرها وادرك أن أخته افهم منه وقال مستسلما : غلبتيني يا مها أنا مناي أن توفقي لزوج طيب وجيد .. آسف على اعتراضي حتى لا تتكرر مأساة أمي فيك

تضايقت أمه من تلميحه بفشل زواجها ؛ ولكنها لزمت السكوت قالت مها مضيفة : أبي زرته وتحدثت معه عنه ، فقال هذا اختيارك يا مها .. وأنا احب لك الخير مع أن مسؤوليتي ضعيفة عليك وعلى أخيك منذ استولت عليكم حُسن تيسير

قالت الأم متضايقة بألم : استوليت عليكم .. يا له من تعبير قبيح مثله ! .. تفاهمنا على الطلاق بهدوء .. رغب بالزواج عليّ ، وأنا رفضت أنا أكون ضرة .. ففضلت الطلاق على زواجه عليّ واتفقنا على أن اهتم بالأصغرين .. كان فهمي ابن خمس سنوات وأنت ابنة ثلاث إلا شهور وانتهى الموضوع .. واعلموا انني سأتزوج مثلكم قريبا

صاح دهشا من تصريحها : ومن سيقبل بك زوجة عمرها قريب الخمسين؟!

قالت مها متعجبة أيضا : ومن هذا الرجل الذي يبحث عن عجوز؟

قالت محتجة : لست عجوزا .. ومنذ طلقت والرجال يتقدمون لي سواء مطلقين أو أرامل من أجلكما كنت ارفض .. انتم الآن كبرتم وتعرفون مصالحكم .. وانا لن أتزوج طفلا أو شابا يرغب بالأولاد .. ولم يحدث أي شيء جدي مجرد مفاتحة وكلام في الموضوع ..ستعرفون من حدثني عن الزواج عند الجد .

قالت مها باسمة : لعلي اخمن !

قالت بحدة : لا داعي للتخمين ، لم يحدث شيء بعد .. مشاورات وهمسات

قالت مها بسرعة : أخت أبي جميل زارتك عدة مرات من العريس ؟

ـ لم يحدث شيء بعد .. صحيح هي المرسال

قال فهمي : اخشى أن يكون الأرمل يا أم إلياس

ـ الأرمل المطلق لم اقبل بعد باسم معين

ضحك فهمي وقد فهم من العريس : تتزوجين أبا جميل الذي طلقت ابنته ! يا للناس!

قالت مها : وهل في ذلك مانع شرعي يا فهمي ؟

قال بحدة : هناك مانع أدبي

قالت مها : الرجل محترم من قبل أن تخطب ابنته

ـ رجعت للعائلة الشعبان

قالت مها : أتريدها أن تبقى عانس ؟

ـ أنا بفكر أن أتزوج سورية .

قالت امه : وماله ! ما نحن نأخذ منهم ويأخذون منا .. نحن نرغب أن تتزوج وتعيش حياتك أنت كبرت .

ضحك وقال ساخرا : أنا كبرت عمري ربع قرن بعد

***

في مطلع فجر ١٦ يناير من سنة ١٩٩١ ، أي بعد يوم واحد من انتهاء المهلة النهائية التي منحها مجلس الأمن للعراق لسحب قواته من الكويت ، شنت طائرات قوات الائتلاف حملة جوية مكثفة وواسعة النطاق شملت العراق كله من الشمال إلى الجنوب ، فقد اعتمدت استراتيجية التحالف على حرب الاستنزاف ؛ حيث تم إضعاف الجيش العراقي بالحرب الجوية على مدى ٤٣ يومًا .. وتعتبر هذه المواجهة الأكبر منذ الحرب العالمية الثانية حيث تواجه نحو مليون جندي تصاحبهم الآليات المدرعة وقطع المدفعية مسنودةً بالقوة الجوية في الخليج والمنطقة الساخنة .

***

خلال توقف دراسة مها اتصل بدر الدين بمها طالبا زيارتها له للحديث معها حول الشاب دانيال بحصة زميل الماجستير كما اطلقوا عليه ؛ لأنهما اتفاقا على أن تعلن الخطبة رسميا خلال فبراير قامت الفتاة بزيارة بيت والدها ؛ حيث يسكن هو وزوجته وأبناؤه منها ، فأبناؤه الثلاثة

الذين من حُسن قد تزوجوا ورحلوا ، فاستقبلتها أم احمد زوجة الأب فاطمة شعيب كالعادة بالأحضان والعناق ، وفعل الأخوة مثل أمهم ، ولما جلست في غرفة الاستقبال حضر الوالد مرحبا بابنته ، ولما حضر الشاي انصرفت الزوجة لمعرفتها بسبب الزيارة ، ولما انتهى الوالد بدر الدين المحاضر في جامعة الشهداء من السؤال عن أمها واخيها قال : هل أنت مقتنعة بالزواج منه ؟ من دانيال بحصة .

ـ أنا عرفته من خلال الفصل الحالي ، لم يكن بيننا معرفة سابقة ، هو تعلم في جامعة وانا تعلمت في جامعة أخرى .. تعرفنا بحكم الدراسة الحالية (وأكدت ثانية) : لم اعرفه أثناء الدراسة الأولى .. تعرفنا وجلسنا سوية بحكم الدراسة في قاعة واحدة ، وبعد شهر ونصف طرح فكرة الزواج بحكم أننا عازبان وغير خاطبين .. عرض عليّ الاقتران فبعد تفكير وافقت مبدئيا وقلت له : أنا لا أعرفك جيدا يا سيد دانيال فنحن مجرد رفاق دراسة .. والزواج لابد منه لي ولك .. فحدثته عن نفسي وحدثني عن نفسه .. ورغبته مثلي بنيل الدكتوراه في العلوم الحياتية مهنة طبية تحاليل ومختبرات طبية كما تعلم

هزّ رأسه على فهمه دراسة العلوم الحياتية وقال : اشربي الشاي قبل أن يثلج .. أنا سألت عنه في جامعته الأولى حسب معلوماتك عنه .

ـ ماذا وجدت ؟

ـ الشاب مجتهد في الجامعة ، كان قد تعرف على اكثر من فتاة خلال السنوات الأربعة ككثير من الطلبة ، ولم يرتبط بأي واحدة للزواج كما قيل لي

قالت : صرح لي بذلك قال أنا عرفت بنات قبلك بحكم الصداقة والزمالة ولم ارتبط بواحدة كمشروع زواج .

ـ اجل ؛ لكنه يحمل فكرا شيوعيا ماركسيا ؛ كما قيل .. أحدثك عن ذلك؟

ـ قليلا بدون توسع ؛ لأن معرفتنا قصيرة كما يقال

ـ أنت حسب معرفتي لا تعرفين الصلاة والصوم والطهارة الشرعية مثل امك وأخيك فهمي

ـ هذا الأشياء غير موجودة في بيتنا (وضحكت)

ـ والشاب من هذه الناحية والجانب مثلك ؛ فإذا هذا الأمر غير مهم في حياتك مستقبلا فهو مناسب لك .. سمعته الجامعية مقبولة جدا .. فليس لديه أمور تختلف عن سائر الشباب .. كان ناشطا طلابيا فهو صاحب طموح مثلك .. ليس في سيرته مخدرات ، وهو مدخن ويشرب الكحول بشكل ما

ـ اعترف لي بذلك هو يشربها في الحفلات الخاصة فقط

ـ يبدو أنه صريح معك

ـ ستكون هي خطبة فقط .. خطبة بدون أوراق حتى اذا خرجنا للسهر والسمر أو السينما أو غير ذلك أن لا يغمز الناس والجيران بحقنا .. وبعد حين نقرر الاستمرار أو نتوقف

ـ تفكير جيد ومنطقي ! خلال هذه الفترة تتعرفان على بعض اكثر واكثر

ـ شكرا يا أبي .. أمي قد تتزوج هذا الزمن

قال دهشة : ماذا ؟ بعد هذا السن !

ـ تقول خلاص كبرتم .. وكلكم سائر لبيته

ـ ومن ستتزوج؟ أعرفتيه ؟

ـ ارجح أن يكون الأرمل أبو جميل والد سحر خطيبة فهمي سابقا

ابتسم وقال : الحبيب الأول !

ـ ما معنى الحبيب الأول!

قال : ستعرفين .. ستنشر التعليقات اذا حصل الزواج هذا .

***

حاول العراق في اللحظات الأخيرة تجنب الحرب ففي ٢٢ فبراير ١٩٩١ وافق العراق على مقترح روسي سوفيتي بوقف إطلاق النار والانسحاب من الأراضي الكويتية خلال فترة قدرها ٣ أسابيع على أن يتم الإشراف على الانسحاب من قبل مجلس الأمن ، لم توافق الولايات

المتحدة الخصم اللدود للعراق على هذا المقترح ؛ ولكنها تعهدت أنها لن تقوم بمهاجمة القطاعات العراقية المنسحبة وأعطت مهلة ٢٤ ساعة فقط للقوات العراقية بإكمال انسحابها من الكويت بالكامل ، في الرابعة فجرًا من ٢٤ فبراير من نفس العام بدأت قوات التحالف توغلها في الأراضي الكويتية والعراقية الجنوبية ، وتم تقسيم الجيش البري المهاجم إلى ثلاث مجاميع رئيسية بحيث تتوجه المجموعة الأولى لتحرير مدينة الكويت بينما تقوم الثانية بمحاصرة جناح الجيش العراقي في غرب الكويت ، وتقوم المجموعة الثالثة بالتحرك في أقصى الغرب وتدخل جنوب الأراضي العراقية لقطع كافة الإمدادات للجيش العراقي.

وفي اليوم الأول للحرب البرية استطاعت قوات التحالف للوصول إلى نصف المسافة لمدينة الكويت بينما لم تلاق المجموعتين الآخرتين أي صعوبات في التقدم ، وفي اليوم الثاني قامت قوات التحالف بقطع جميع الطرق لإمداد للجيش العراقي.

بدأ الجيش العراقي بالانسحاب مرغما مهزوما مذلولا في ٢٦فبراير ، وقصفت قوات التحالف القطعات العسكرية المنسحبة من الكويت إلى العراق مما أدى إلى تدمير ما يزيد عن ١٥٠٠ عربة عسكرية عراقية ، وفي اليوم التالي، أي ٢٧ فبراير، أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب قائد التحالف ضد العراق الدولي عن تحرير الكويت بعد ١٠٠ ساعة من الحملة البرية، فقال: الكويت أصبحت محررة ، وأن الجيش العراقي قد هزم.

وانتهت حرب الخليج الثانية بين العراق وتحالف الأمم المتحدة ، أو أم المعارك كما سماها بعث العراق ، أو حرب تحرير الكويت وأطلق عليها عسكريًا أيضًا اسم عملية درع الصحراء للمرحلة من ٧ أغسطس ١٩٩٠ وحتى ١٧ يناير ١٩٩١ ، وثم عملية عاصفة الصحراء للمرحلة من ١٧ يناير إلى ٢٨ فبراير ١٩٩١، وهي حرب شنتها قوات التحالف المكونة من ٣٤ دولة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضدّ العراق ، بعد أن منح مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة تفويضًا بذلك لتحرير الكويت من الاحتلال العراقي.

***

زواج المطلقة

قبل انتهاء الحرب الأمريكية العراقية في الخليج تقدم أبو جميل للمطلقة حُسن تيسير حسب ما بدأ الهمس ، وانتشر الخبر ، ولقد استطاعت أخت أبي جميل في النهاية إقناع المطلقة بالزواج من شقيقها الأرمل ، وظهر للعيان أن الرجل قد طلب يدها قديما قبل زواجها من بدر الدين ، وان الرجل أحبها وسعى للزواج منها قبل أن يطلب يد صديقتها رفيقة ، ولكن أهلها رفضوا مصاهرة آل الشعبان لقصة قديمة بين العيلتين ، الظروف هذه الأيام تغيرت وقبل والدها تيسير زواجها المتأخر ، وحاول فهمي الاعتراض ؛ لأنه طلق ابنتهم قبل شهور يسيرة ، ولم يهتم احد باعتراضه ، وتبريرات رفضه ، وأما مها ففضلت الصمت رغم أنها لم تقبل زواج أمها بعد كل هذه السنين من الصبر ورفض الزواج ، وقبل أن تضع الحرب التاريخية أوزارها رحلت حُسن إلى شقة استأجرها الرجل ؛ لتكون عش زواجها ، ولم يشارك فهمي ولا أي من أولادها الآخرين الزواج مما أثار السخط لدى الأم ، ولم يهتموا بذلك السخط والعتب ؛ بل بعضهم عاب زواجها بعد هذا السن من هجر الرجال ، وكانت قصة مها مع زميل الماجستير دانيال تتطور وتتقدم للإمام ، وأصبحت الصداقة اقوى وأعلنت خطبة غير قانونية وغير رسمية بينهم فأصبحت تسمح لنفسها بالسهر معه في المسارح والمقاهي المختلطة والأكل في المطاعم ، ووجدت أن صديقها زوج الغد مغرما وعاشقا للأكل الغربي أو المطاعم المنتشرة في الأحياء ذات النمط الأوروبي أو الأمريكي.

وأصبحت علاقتها شائعة بين زملاء الماجستير وبين جيران حي علي ، لأنه كان يأتي الشارع بسيارته للخروج معها أمام أعين الجيران ذكورا وإناثا ، والناس تنتظر الخطبة الشرعية لخفت الهمس ، وأما فهمي فقد سخط على الحياة ، وكان ينتظر الصيف بشغف ليرحل للشام بحثا عن عروس ، ووعده المهندس جراد ابن عم زميله محمود مدرس مدرسة جرير بالمساعدة ؛ فكان جل حديثهم في المقهى في الشارع عن زواجه القادم وان ابن عمه جراد كلف زميله المهندس السوري باختيار فتاة أو اكثر للتعارف ليتزوج ويختار واحدة منهن حلال عطلة الصيف القادم

قال رضوان : هل صحيح ما سمعنا به في المدرسة؟

قال فهمي مغتاظا : ما الذي سمعتموه عني ؟ سيبقون في سيرتي

ضحك محمود وقال : على رسلك ولا تزعل .. لقد شاع بين المدرسين واعتقد أن بعضهم من سكان شارعكم الشهير

حملق في محمود واشعل سيجارة وقال : ماذا يشيع الملاعين ؟

قال رضوان : اهدأ ..شاع أن امك تزوجت والد خطيبتك السابقة ، وانك طلقت سحرا حتى لا تتزوج امك من والدها ؛ ولكنهما أصرا على الزواج البغيض

صفن للحظات وقال : هكذا يقال .. ورشف شايا وقال : أنا لم اطلق الآنسة حتى لا تتزوج أمي من آل الشعبان .. ولم يكن أبو جميل أبو سحر خطيبتي المطلقة يريد الزواج من أمي قبل وفاة زوجته والدة سحر .. هذا حدث بعد ترمله .. من أين يأتي الناس بهذه التفسيرات ؟ .. سأشرح لكم القصة لتنشروها بين زملاء جرير القلقين على سيرتي ويهتمون بأخباري المؤلمة .

قال محمود : قلنا الحمد لله .. لم يكن زميلنا فهمي مدرسا في المدرسة وسمع هذه السوالف والأفكار السيئة والخبيثة

قال رضوان : اشرح .. اشرح

قال فهمي : القصة أن والد سحر قبل أن اخلق أنا أو سحر أراد الزواج من أمي قبل أن تصبح أمي تعرف عليها أثناء عملها معه في مستشفى شرف ، فهو مهندس صيانة في المستشفى منذ تأسس توظف للعمل فيه ؛ ولكن جدي تيسير والد أمي رفضه ، ولا اعرف لماذا رفضوه ؟ فتزوج الرجل صديقتها الممرضة رفيقة التي صارت أم جميل وسحر وغيرهم .. وأمي تزوجها والدي بدر الدين الدكتور المحاضر في جامعة الشهداء .. وبعد أن أنجبت منه خمسة رغب بالزواج عليها ، فرفضت أن تكون ضرة كما تقول ، وطلقت وكان عمري عند الطلاق خمس سنوات وأختي الصغيرة ثلاث سنوات ، وتقاسمونا الكبار الثلاث مع أبي والصغار مع أمي .. وظلت أمي مطلقة وهي التي شجعتني على الزواج من ابنة أبي جميل لعمق صداقتها مع رفيقة ،

ولما ترمل الرجل من شهور كسائر الرجال رغب بالزواج لذكريات الماضي فوقع الاختيار عليها لأنها مطلقة ، ولا علاقة لطلاقي من سحر وزواج أمي من أبيها ، ولم يعترض والدها تيسير ولا إخوتها كاعتراضهم القديم .. هذه هي تفاصيل القصة !

قال رضوان : نحن بالطبع نصدقك ؛ ليس فقط لأننا أصدقاء وأخوة منذ اربع سنوات .. لكنهم يشيعون أن سبب طلاق أبيك لامك انهما كانا يحبان بعضهما من أيام الشغل مع بعض ونحن دافعنا عن شرفك يا فهمي ولم نصدق ذلك أيها الصديق .. ونحن فتحنا الموضوع معك ؛ لأن الكلام كثير عن امك في المدرسة

قال محمود : كان على امك ألا تتزوج ذلك الأرمل .. فهذا ما احيى تلك الإشاعات يا صديقنا قالوا لو لا أن بينهما شيء سيء ما طلق فهمي البنت .. ولما قبلت أمه بالزواج من والد خطيبة ابنها المطلقة

قال فهمي : حاولت أن لا يحدث الزواج .. لقد كنت ادرك أن هذا اللغط سيقال سيربط أهل الفساد بين طلاقي لسحر وزواج أبيها من أمي .. ولكني وجهت بسؤال هل هو حرام شرعا ؟ وأهلها ووالدها الذي رفض قديما قبل به .. فهل أصر على الرفض أمام رضاها به بعد كل هذا العمر ؟

قال رضوان : نحن لم نقصر بالدفاع عنك .. الأمر محير.. فخطبتك وتركك أثارت شهية مبغضيك من أيام قصة نقلك

قال فهمي : نعم ، هو هذا سبب تكبير الإشاعات .. في النهاية أشكركم .. رغم أن الكلام يسبب المغص هو مجرد إساءة وإيذاء نفسي لا أرى أنه يقدم ويؤخر ومع إجازة الصيف سأقترن بفتاة من سوريا وأنسى كل هذا الغمز اللمز .. لو مديركم وقف وقفة رجل ضد تجارة المخدرات في المدرسة لما تجرأ احد أن يحمل هذا الكلام الفارغ للمدرسة وابقى أتحمل كل هذا التنكيد

***

جريمة

لم يمض وقت طويل على لقاء الرفاق الثلاثة الأخير حتى حدثت حادثة مرعبة شغلت الناس عن حكاية أم فهمي وزواجها للأرمل أبي جميل ، في مطلع آذار ١٩٩١ حدثت جريمة قتل في مدرسة جرير لم تكن الجريمة في مبنى المدرسة ؛ إنها انطلقت من بين جدرانها وساحاتها ، وكان ضحيتها طالب ثانوية عامة اسمه رشدي أبو حلا ، وكان هذا الطالب احد الطالبين اللذين تشاجر معهما فهمي قبل سنة ، والسبب نزاع على حشيشة مخدرة تم بيعها لشاب ومدرس مادة الاجتماعيات التاريخ والجغرافيا ، باع رشدي كمية منها للشاب عماد دينا بكفالة الأستاذ معين وهو مدرس الجغرافيا ، ولما ذهب رشدي إلى الأستاذ معين لتحصيل الثمن من عماد ، مشى الأستاذ الحشاش برفقة رشدي إلى بيت الطالب عماد المعروف لرشدي ، فلم يجداه في البيت ، وذكر لهم شقيقه أنهم قد يجدونه في مقهى العامل في وسط المدينة ، وركبا سيارة أجرة لذلك المقهى المعروف لرشدي في شارع جمال الدين الأفغاني ، وفعلا كان عماد يجلس مع شلته يلعبون الورق وربما القمار ، فسلما عليهم وقال رشدي موضحا سبب حضوره للمقهى وهم يبحلقون فيهما : اسمحوا لنا بكلمة مع الأخ عماد زميل مدرستي .. نحن أبناء مدرسة واحدة

صاح عماد بدون مقدمات لرشدي كأنه يعلم سبب حضورهما : لا احمل فلسا يا أستاذ معين!

قال معين بهدوء : المبلغ استحق عليك .. وأنت طلبت كفالتي يا عماد لا تورطني مع رشدي

ـ خسرت كل ما املك وتعبت من الحشيشة والحبوب

قال رشدي بغضب : وأنا ما دخلي في تعبك وما تملك ! أنا حقي استحق وأنت تتهرب من اللقاء .. وحقي أريده يا أستاذ معين أنت الكفيل . . ودينك زاد والمماطلة مريرة

قال احد الشباب : كم المبلغ ؟

ـ خمسون

ـ مبلغ بسيط يا عماد .. عاجز عن دفعه ..!

قال عماد ممتعظا من تدخل رفاق الطاولة : بطلت أحشش يا ناس .. ولا أريد الدفع .. افعل

ما تريد يا رشدي .. لا تخوفني أن أباك شرطي بياع مخدرات .. احبسوني

صاح رشدي بانفعال : اخرس .. أبي لا يبيع مخدرات

قهقهة عماد وهو يقف متحديا : بل اكبر تاجر في البلد .. نحن نعرف بعضنا بعضا

صفع رشدي عمادا فجأة على خده صفعة رن صداها في كل غرف المقهى ، فنفل عماد الشدة واخرج سكينا بسرعة البرق وانهال بها على رشدي قبل أن يتحرك الفزيعة ،وكان يصرخ مهتاجا من الصفعة المفاجئة ، فسقط رشدي مضرجا بدمه على البلاط ، وهرب عماد والشباب قبل حضور الشرطة والإسعاف ، ثم فارق الشاب الحياة بعد أيام ، لم ينجح المستشفى في علاجه ، وأعلنت حالة الطوارئ في المدرسة ، واعتقل معين وأوقف أبو جلال المدير عن الإدارة ، وعاد الحديث عن قصة فهمي ومشاجرته مع رشدي ونقله من مدرسة جرير إلى مدرسة الحسن البصري بزعم التأديب ، وحقق معه عن تلك القصة ولفقة القضية ، وكان من نتائج الجريمة بعد حين يسير إحالة والد رشدي على التقاعد بتهمة التعاون مع مهربي المخدرات وترويجها في المدارس وتوريط ابنه وأصحابه ببيعها ، ونقل معين وأبو جلال إلى مدارس نائية وبعيدة عن المدن الكبيرة ، اضطر المدير على اثرها لطلب التقاعد ومثله فعل معين، وكان فهمي بدر الدين بعد إغلاق ملف القضية جنائيا يقول لرضوان ومحمود : أرأيتم نتيجة التقاعس واللفلفة في حل القضايا الوسخة ؟ فقد حدثت هذه الجريمة التي راح ضحيتها طالب جاهل ومغرور نتيجة للفلفة القضية القذرة وجعلها قصة عنف ضد طلاب .. لو عالجت المدرسة القضية وكذلك الإدارة العامة للمدارس لما قتل هذه الطالب الوقح .

قال رضوان : الآن تبين غلط أبي جلال وغيره .. كان المفروض أن تتدخل شرطة المكافحة للتحقيق بانتشار المخدرات بين بعض الطلبة ومعرفة مصدرها وكيف وجدت في المدرسة؟ بالتأكيد لم يكن رشدي من يشتريها من المهربين .. هذا شغل كبار

قال محمود متذكرا : أستاذ الكيمياء سمعته ينصح يومها أبا جلال بتبليغ الأمر للشرطة، ولا يكتفي بإبلاغ دائرة التربية .. فهؤلاء يخافون أو يزعمون أن سمعة المدارس مهمة .. ومن العيب

انتشار مثل هذه الأمور فيها .. هذه كانت قضية كبرى وليست ضرب طالب

فقال فهمي : الآن أصبحت الفضيحة بجلاجل كما يقال .. وكاد الضحية الهامل يحملني تجارة المخدرات ونشرها في المدرسة هو وأبوه .

قال رضوان : مدير الدائرة حينئذ رفض تكبير الموضوع وتدخل الشرطة .. وطلب حصر الموضوع بين أسوار المدرسة .. هو ربما لم يصدق قصة المخدرات أنها تباع لبعض التلاميذ وزجها في المشاجرة .

قال محمود : أكيد تصرف بضغط والد رشدي بياع المخدر .. رجموه فورا

ـ يستحق ذلك .. الله اعلم كم من شاب دمر وبنات !

مشكلة مدرسة ثانوية جرير كانت عاصفة مؤلمة على الإدارة العامة التربوية وعلى المدرسة ، فتغير عدد كبير من رؤساء الأقسام في الإدارة ، وأحيلت على التقاعد بعض الرؤوس في وازرة المعارف ، واكثر من نصف معلمي جرير نقلوا لمدارس أخرى ، وظهرت إدارة جديدة لإكمال الفصل الصيفي ، ووضعت نقطة شرطة في المدرسة لضبط الأمن والدراسة ، ولكشف المزيد من أعوان رشدي وغيره .

***

كانت مها بدر الدين قد اتفقت مع الزميل دانيال على إشهار الخطبة الشرعية بعد انتهاء الفصل الثاني للماجستير ، أي في مطلع الصيف ، وقالت له يوما وهما يجلسان في مكتبة الكلية العامة في البحث عن مراجع لرسالتيهما وبحثيهما بعد بحث : أسمعت بفضيحة مدرسة جرير التي نشرتها الصحف ؟

أجاب حائرا بالمقصد من الاستفهام : نشرت الصحف الكثير من أخبارها ، لم أتابع التفاصيل التي أذيعت .. مدرسة عجيبة مضت مدة قبل أن يظهر هذا الوكر .. هي ليست في منطقتكم

ـ قريبة من منطقتنا قريبة من شارع سيدو عدنان .. كان الوكر معروفا لكثير من موظفي المدرسة ؛ ولكن لفلفة الموضوع وغض البصر كلما يظهر هي سبب إطالته

وروت باختصار قصة شقيقها مع إدارة المدرسة فقال متعجبا : بل كان جرس إنذار لمديرية التربية في المنطقة وللمخبرين في المنطقة .. كأنها مؤامرة

قالت : إلى حد كبير ، لم يهتم احد من قصة فهمي وجعلوها عنفا مدرسيا ، ووجدوا الحل بطرده من المدرسة ، ونقلوه لمدرسة في شارعنا ليلزم الصمت والسكوت .. مدرسة قرب البيت ، ولم تكن المدرسة بحاجة لمدرس فيزياء لقضاء شهرين مجرد ديكور ظنا منهم بإنهاء العاصفة بهذا الحل العبقري وضحكت .

ـ نشرت الصحف تعليقات مخيفة عن القضية التي أدت إلى مقتل طالب من قبل طالب

قالت : للأسف كان معلمون مشتركين في التجارة والإدمان كما اتضح ونشر

قال معقبا وموسعا النقد : أفكار الرأسمالية والليبرالية المنتشرة في أمريكا وأوروبا الغربية والتقليد الأعمى لهم

هتفت بضيق : ما ها هو معسكركم الاشتراكي يتفكك قبل معسكرهم

قال مدافعا : أنا حملت أفكار الاشتراكية ولست ماركسيا ، لم اكن ملحدا يوما يا ست مها ، لكن الاشتراكية قريبة من الماركسية الأولى .. أو قولي الماركسيون الأوائل حملوا الاشتراكية الاقتصادية لمنهجهم .. ويقال من يساير قوما يحسب أمام الناس منهم .. الاشتراكية لابد انك تعلمين أنها مبدأ أو مبادئ اقتصادية لا دخل لها بالاعتقاد .. فها أنت تسمعين عن أحزاب مسيحية واشتراكية .. الاشتراكية باختصار تساوي الشعب كله في الثروة .. الثروة للجميع من حق كل أفراد الشعب العيش في نفس الرفاهية والحياة الطيبة .. كنت امشي مع الشباب الشيوعي وما زلت لاشتراكياتهم .. لأنهم الأقرب عمليا للاشتراكية سواء ثورية أو علمية

ـ هل من فرق بين الإسلام والاشتراكية ؟ فبعض المسلمون يدعون إلى اشتراكية الإسلام

ـ لم اعرف اشتراكية الإسلام ولم أقرأ عنها .. فرق كبير بينهما يا مها .. الاشتراكية لا يوجد فيها طبقية ولا دين .. المسلمون فيهم أغنياء وفقراء وأحرار وعبيد

فقالت: وهل تخلى أمة من ذلك ، فكنا نسمع أن الاتحاد السوفيتي فيه أغنياء وحوافز للإنتاج

والصين كذلك

***

ظهرت كلمة الاشتراكية لأول مرة في ١٣ فبراير عام ١٨٣٢ في لوغلوب، وهي صحيفة فرنسية ليبرالية لبيير لورو ، ونشر لويس ريبود دراسات عن المصلحين المعاصرين أو الاشتراكيين المعاصرين في عام ١٨٤٢ في فرنسا.. في إنجلترا، استخدم روبرت أوين مصطلح الاشتراكية أيضًا، بشكل مستقل في نفس الوقت تقريبًا ، يعتبر أوين أبًا للحركة التعاونية.

تعود الكلمة الإنجليزية «اشتراكية» بمعناها الحديث إلى ما قبل عام ١٨٢٢ .

تُعرف الاشتراكية بأنها نظرية سياسية واقتصادية ظهرت في بداية القرن التاسع عشر في أوروبا، كاستجابة لظروف اجتماعية وسياسية معينة، أُشير إلى بداية التطور الفكري للاشتراكية في أواخر القرن الثامن عشر، أصبحت الاشتراكية حركة سياسية منظمة في منتصف القرن التاسع عشر، مع ظهور حركات مثل الاشتراكية الطوباوية، ثم الماركسية، شكلت حركة الميثاقية التي ازدهرت منذ عام ١٨٣٨ حتى عام ١٨٥٨ «أول حركة عمالية منظمة في أوروبا، حيث جمعت أعدادًا كبيرة حول ميثاق الشعب لعام ١٨٣٨ ، والتي طالبت بتوسيع نطاق حق الاقتراع لجميع الذكور البالغين الصغار.

إذن الاشتراكية هي مذهب سياسي واقتصادي رأى النور مع بداية القرن الـ١٩ عشر في أوروبا، كرد فعل على الاختلالات الاجتماعية الناجمة عن الانتشار الواسع للنمط الرأسمالي في الإنتاج وتركز رأس المال ، ويسعى إلى إعادة تنظيم المجتمع بما يضمن تحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير الرفاهية للجميع.. أدى شيوع النمط الرأسمالي في الإنتاج بفضل التقدم التقني الذي أفرزته الثورة الصناعية وتركز رأس المال في أيدي أقلية (البورجوازية)، إلى حالة استقطاب حاد داخل المجتمع تمخض عنها نشوء طبقتين متعارضتيْ المصالح هما: البورجوازية (أصحاب رأس المال) والبروليتاريا (العمال).

يمكننا أن نقول : الاشتراكية هو نظام اقتصادي يمتاز بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج والإدارة

التعاونية للاقتصاد ؛ أو هي فلسفة سياسية تدافع عن هذا النظام الاقتصادي ، الملكية الاجتماعية تعود لأي شخص ما أو مجموعة مما يلي: شركات تعاونية أو ملكية شائعة أو ملكية عامة مباشرة أو دولة المؤسسات المستقلة. . ويمكنك أن تعلن أنها مَذهب سِياسيّ واِقْتِصاديّ قائم على سَيطرة الدَّولة على وَسائل الإنتاج وعَدالة التَّوزيع والتَّخطيط الشَّامل ، عامة الاشتراكيون يثبتوا أن الرأسمالية تركز القوة والثروة في قطاع من المجتمع ، فيتحكم هذا القطاع في وسائل الإنتاج ويستمد ثروته من النظام الاستغلالي.. وهذا يخلق مجتمعا طبقيا يعتمد على علاقات اجتماعية غير متساوية مما يسبب الفشل في إمداد فرص متساوية لكل الأفراد لتعظيم قدراتهم وهكذا لا يتم استخدام التقنيات المتاحة والمصادر لتعظيم قدراتهم لمصلحة العامة وتركز على إرضاء وإشباع رغبات السوق المستحث في مقابل متطلبات الإنسان. ويثبت الاشتراكيون أن الاشتراكية تسمح بتوزيع الثروة على أساس مساهمة كل فرد في المجتمع وفي المقابل كم رأس المال الذي يمتلكه الفرد.

الاشتراكيون يؤكدوا أن رأس المال نظام اقتصادي غير شرعي، حيث أن هذا يخدم مصلحة الأغنياء وتسمح باستغلال الطبقات الأدنى ..وبالتبعية يتطلعون إلى أن يستبدلوا النظام بالكامل بعمل تعديلات ضرورية له لكي يخلقوا عدالة اجتماعية لتولد مستوى معيشة أساسي الهدف الأساسي للاشتراكية المساواة الاجتماعية وتوزيع الثروة على أساس المساهمة في المجتمع، وتنظيم اقتصادي يخدم مصلحة المجتمع ككل.

***

قال دانيال بتفلسف : التطبيق للمبادئ عمليا يكشف عيوب كل مجتمع وكل نظرية .. الماركسية اللينية فرضت على فلاحي روسيا أو الصين بالقوة والعنف ؛ لذلك بدت تظهر عوارها وضعفها قالت ساخرة : الحق يا صديقي حسب قراءات شخصية والمحاضرات التي سمعتها فاشلة من البداية اقتصاديا واجتماعيا تعتمد وكما قلت على العنف والتصفية والاغتيالات ؛ ولكن قوتها العسكرية غطت على ضعفها ، فكذا دولة في أوروبا حاولت أن تتخلص منها بعد هلاك ستالين

وأنا لم احبها منذ علمت أنها من أول الدول التي اعترفت بدولة إسرائيل التي شردت آلاف الفلسطينيين.. منذ ولدت كدولة وهي تمارس الظلم والقتل أين الاشتراكية والعدالة الاجتماعية يا سيد دانيال ؟!

قال مقرا : معك حق ! أنا لست ماركسيا .. فالاشتراكية ظهرت قبل ظهور ماركس وانجلز .. وقضية الاعتراف السوفيتي المنتصر في الحرب الثانية اضعف الماركسية في بلاد العرب والمسلمين رغم التبريرات التي نشرها الشيوعيون العرب والمسلمون ، ولم يحكم حزب شيوعي دولة عربية ولا إسلامية بشكل شيوعي حازم .. وكثير من النخب اعتنقتها نكاية بأمريكا والغرب ؛ فلذلك كانوا يتسمون بأسماء عمالية اشتراكية ثورية وحتى ديمقراطية وهم ابعد الناس عن الديمقراطية لكني كنت معهم ؛ لأنني اكره التدين والأحزاب الدينية ، وكانت حركتهم رغم منعها في كثير من الأنظمة كانت قوية ومثيرة

قالت : المتدينون يقولون التحاق الشباب بالماركسية وغيرها السبب هو الجنس والزنا كما يقولون ؛ ليس حبا بالأفكار والتغيير

ـ لا ، لا ، قابلت بشرا كانوا يعتقدون أن الشيوعية ستحكم العالم فعلا

قالت : وأنت اليوم أين موقعك منهم ؟ فمن العيوب التي ذكرها والدي فيك انك ماركسي

ضحك وقال : مشيت معهم، فأنا من أسرة أرستقراطية يا مها .. نحن أصحاب مصانع وثروة لكني عشقت الاشتراكية ومبادئها بتحقق العدالة لأفراد المجتمع كلهم ، وتساوي الناس في الثروة ومتع الحياة ، ومن حق الجميع التعلم والاختيار .. هناك أناس أذكياء يمنعهم فقرهم من إكمال الجامعة .. ومنذ تركت الجامعة لم اعد اهتم بندواتهم واجتماعاتهم .. وأنت مثلي غير متدينة ولم تنتمي إلى جماعة وطنية قومية دينية .

اعترفت قائلة : أنا لا اعرف التدين ، لم تكن والدتي تهتم بذلك على خلاف إخوتي الأكبر ووالدي ربما هذا من أسباب الفراق بين والديّ .. نعيش من اجل الحياة

قال مغيرا الموضوع : سنخطب رسميا مع بداية العطلة

ـ أنا جاهزة للزواج حتى .. فأمي كما قلت لك تزوجت من حبيبها القديم بعد أن ترمل .. وفهمي سيسافر إلى سورية كما يرتب مع بعض الناس للزواج ثم العودة قبل دخول العام الدراسي الجديد .

فقال متحمسا للزواج : ولماذا لا نتزوج نحن خلال العطلة ما دام فهمي سيتزوج الصيف ؟ ليسكن في شقتكم بدل أن يستأجر بيتا وتعشين بمفردك .

ـ هذا يعود لك ؛ فاذا رغبت بالزواج في الصيف فلا مانع لدي .. فها نحن عرفنا بعضا بشكل جيد.. واعلم أن لدينا شغالة أو خادمة منذ خروج أمي من شقتها .. واعلم أيضا أن أخي سيمتلك شقة بمساعدة أبي ؛ كما اقرضه لشراء سيارة صغيرة لما رحل لمدرسة بعيدة عن الحي

ـ سأفكر واخبر الأسرة لنتخذ قرار الزواج

ـ وأنا سأشاور أبي وإخواني وحتى فهمي الذي ما زال غاضبا من زواج أمه من حميه سابقا

***

لعلك مسحور

لما علم فهمي بخطة مها بالزواج خلال الصيف أخر سفره لسوريا حتى تفرغ الشقة منها ، فقال مخاطبا لها : لماذا استعجلتم أنا ذاهب لسوريا لعلي اجد بنت الحلال ؟وقد لا أوفق بالزواج .

قالت : رأينا أن نعجل بالزواج ، وقد عرفنا طباع بعض خلال هذه الشهور وأن الزواج قادم ولابد منه ، وقلنا بدل أن تشتري شقة وتبقى هذه فارغة فلتمكث فيها، وارحل أنا قبلك وتشتري شقة على مهلك وبراحتك دون أي ضغط .

قال متفهما : تفكير صائب بينكما .. خلاص استقرت روحك عليه وانه رجل حياتك

ـ بيننا انسجام كبير في الطموح .. وقلنا لماذا نؤخره حتى نخلص من الدراسة؟ لأن الدراسة لن تنتهي بالماجستير سنتابع الدراسة حتى الدكتوراه

قال : والحمل

قالت : هناك موانع الحمل لتأخيره ، ولا تمنع الدراسة الحمل ، فدراسة الماجستير متباعدة قد تأخذ ساعات في المساء إلى مساء آخر .. ومسألة الحمل لم نتناقش فيها بشكل موسع .. خواطر لأن تفكيرنا كان منصبا على الخطبة الشرعية وهي ستلغى ونكتفي بحفلة واحدة

ـ الله ييسر أمركما .. أتتحدثين مع أمنا ؟

قالت بامتعاض : أحيانا على الهاتف .. وتقتصر المحادثة كيف أنت ؟ وكيف صحتك ؟ وتنتهي كان تصرفها غير لائق بامرأة هجرت الزواج من عشرين سنة

ـ صبرت على العزوبية من أجلنا

ـ التوقيت خطأ والاختيار سيء .. لقد أسأت لنا أنت وأنا

ضحك وقال : حب كمون .. أتراه هو سبب هجر أبي لها ؟

ـ زعمت أن أبانا رغب بتكرار الزواج .. ففضلت الطلاق على الضرة المرة

قال باسما : الله اعلم .. ما رأيك بالعشاء في مطعم الخواجة ؟

ضحكت من كلمة خواجة وقالت : دانيال لا يحب الأكل إلا في مطاعم الخواجات

قال مثنيا على أصناف الطعام الأجنبي : الطعام الأجنبي لذيذ ؛ ولكنه غالي جدا .. اقصد أنا مطعم شخص يسمى الخواجة ، ربما لقب ؛ لأن شكله مثل الأجانب طعامه عربي .

ـ هل هو مطعم جديد ؟

ـ جديد بالنسبة لي دلني عليه زميل في المدرسة التي اعمل فيها

قالت : انتظر قليلا حتى البس ما يناسب مطعم الخواجة

***

بعد خروجهم من المطعم الإيطالي ويسمونه مطعم المكرونة أو المعكرونة وهو مطعم مشهور بطهي أنواع وأصناف منها ، المكرونة هي وجبة رئيسية عالمية تقدم بطرق عديدة ومتنوعة، بدءًا من الأطباق الإيطالية الكلاسيكية مثل الباستا بالصلصة إلى الأطباق العالمية التي تستخدم المكرونة كإحدى المكونات الرئيسية فيها .. تتنوع المكرونة في أنواعها وأشكالها، مما يسمح بإعداد مجموعة متنوعة من الأطباق اللذيذة ، المكرونة بالصلصة : تعتبر من أكثر الأطباق شيوعًا، حيث يتم طهي المكرونة مع صلصة طماطم ، أو صلصة لحم، أو صلصة نباتية . . أما لازانيا :فطبق إيطالي شهير مصنوع من طبقات من المكرونة ، الصلصة، والجبن .. هناك أيضا سلطة المكرونة :طبق بارد وصحي، يجمع بين المكرونة والخضروات والصلصة . . المكرونة بالبشاميل : طبق عربي شهير يجمع بين المكرونة والصلصة البيضاء (البشاميل) ..مكرونة بالدجاج :طبق مشهور يجمع بين المكرونة والدجاج المشوي أو المقلي .. الكشري :فطبق مصري شهير يجمع بين الأرز والمكرونة وصلصات مختلفة ..تعد المكرونة مصدرًا جيدًا للكربوهيدرات والطاقة ..كما أنها تحتوي على الألياف والبروتين والفيتامينات والمعادن .. فالاسم معكرونة ومكرونة جميعا صحيح في المعاجم العربية المعاصرة.

بعدما تناولوا العشاء في المطعم الإيطالي المشهور بطهي أنواع كثيرة من المكرونة فاتجهوا جهة مقهى جمعية عسكر قال محمود : المهندس جراد يقول لك متى السفر فقد زهق من تلفونات قاسم الشامي ؟

اشعل فهمي سيجارة وقال : اتصل بي آخر حزيران أو قبل أيام ..فحزيران على وشك الرحيل فقلت سنتأخر قليلا بسبب زواج أختي منتصف شهر تموز القادم فلماذا اتصل بك ؟

قال محمود : من كثرة إلحاح قاسم ربما ، فالرجل مستعجل يبدو على زواجك من قريباته فلعلهم يلحون عليه أين العريس ؟ أين العريس ؟ والصيف قد برز

ـ زواج مها حدث فجأة إلى حد ما .. كنا نرى أنها خطبة قانونية فقط .. فرغب الشاب بالزواج خلال الدراسة .. وجعلوني حجة لهذا الزواج العاجل.

قال رضوان وقد انتهى من مسح فمه : كيف ؟

ـ كنت سأشتري شقة لي وللعروس ، وتبقى مها في شقة العائلة ، فالشقة باسمنا الثلاثة.. تنازل عنها أبي لنا رغم طلاقه من أمنا قبل تسجليها باسمنا الثلاثة .. فقبل دانيال العريس لمها بتعجيل الزواج لأبقى أنا في الشقة حتى أتمكن من شراء شقة بكل راحة

قال محمود : رجل جيد !وتفكير ممتاز ما دامت شقيقتك قبلته زوجا .. أنت ذكرت لنا أن والدك ساهم في سيارتك وسيساعدك في شراء شقة من اجل الزواج

قال رضوان : والدك لطيف معكم يا فهمي!

قال فهمي : صحيح ومتعاون ، لم يقصر معنا رغم سلب أمي لنا ، رفضت أن نبقى مع إخوتنا الأكبر ، ولليوم لا نعرف سر التمسك بنا دون الآخرين .. تزعم لأننا الصغار مع أني كنت ابن خمس سنوات وعلى وشك دخول المدرسة ، لم اكن رضيعا ، وتزعم أنها فضلت الطلاق على أن تكون ضرة

قال محمود مضيفا : كثير من نساء اليوم أو العصر تحسبها هكذا .. الطلاق ولا الضرة .. تمر مرحلة أو فترة يرغب الرجل بتجديد الفراش كما يقال .. فتصبح بعض الزوجات مملة ولم تعد تهتم بزوجها وطاقته الجنسية فيفكر بالزواج على الأولى .. كان لي عم مثل والدك كره امرأته وخطب من دون علمها ففضلت الطلاق مثل امك

قال رضوان : اغلب نساء البلد اليوم يكرهن التعدد رغم حله شرعا .. بعضهن كما نسمع تحب

أن ترى زوجها يزني ويمارس البغاء ولا يتزوج عليها

قال محمود : السبب ضعف الرجال في السيطرة على البيت .. وهؤلاء النسوة يحضرن المسلسلات والأفلام التي تحارب العفة والتعدد

قال فهمي : الحركة النسوية المخربة أليس كذلك ؟

***

وفي شهر تموز تزوجت مها من زميلها في الماجستير ، وذهبا أوروبا لقضاء فترة شهر العسل لمدة عشرين يوما للعودة لدراسة السنة الثانية للماجستير في العلوم الحياتية ، وبعد انتهاء الحفلة جهز الشاب فهمي الشقة بما يلزم وبما ينقص وجدد غرفة النوم بفراش جديد وابتاع ثلاجة جديدة وغسالة حديثة وغاز المطبخ وطناجر الطبخ والكثير من أدوات المطبخ الحديثة ، وسافر للشام برفقة المهندس جراد قريب محمود زميل مدرسة جرير ، وهناك التقى بصديق المهندس المهندس قاسم ، واتفق معه إلى زيارة من وقع عليهن الاختيار من قريباته كما قيل له ، وبعد عدة زيارات لأسرهن قبل بالزواج من فتاة جامعية اسمها سوسن منير خريجة جامعة البعث السورية شجعه على اختيارها قاسم بعد تجوله على ثلاث أسر هي إحداهن ، وأقام حفلة زواج في صالة حجزها له المهندس قاسم ، وبعد الاحتفال غادر جراد دمشق تاركا العريس يفرح بأهله الجدد ، وقضى فهمي شهور الصيف في شقة في احد أحياء دمشق الخالدة ، ومع مطلع أيلول عاد لحي علي شارع سيدو عدنان واستقر في شقته المعهودة يستقبل المهنئين من الأقارب والمعارف .

استقر الأستاذ فهمي سعيدا بزوجته سوسن قريبة المهندس السوري قاسم شاية زميل المهندس جراد قريب زميله محمود محمد أبي محمد أيام مدرسة ثانوية جرير التي اشتهرت بمدرسة المخدرات بعد مقتل احد طلابها بسبب المخدرات وحبس آخر ، وكان فهمي يبحث عن وظيفة لزوجته سوسن مدرسة اللغة الفرنسية ، وكلما عاد من مدرسته يجدها قد أعدت له بعض الأطعمة السورية الشهية فينتعش بطيب طهيها ، ثم مساء يخرجان للعشاء في احد مطاعم المدينة ويأكلان حلويات البلد ، وقد يحضران حفلة سينما أو سهرة موسيقية في نادي الموسيقى فسوسن

تحب الموسيقى الفرنسية خاصة والغربية عامة ..

قال لها ليلة : كيف حياتك معي ومع أهلي ؟

ابتسمت وقالت : لولا حبي لك هل تراني قبلت الاقتران برجل غريب عن بلدي ؟ .. المهندس قاسم شبع مدحا فيك .. هل تعرفه من زمان ؟

قال : قبل سنة تقريبا ذهبت مع بعض الرفاق في رحلة للشام وتعرفنا عليه ؛ ولكنه يسكر

قالت بابتسامة : لاحظت انك لا تعرف طريق الخمر .. قال لي انك خطبت مرة وطلقت لم تتزوج أي فتاة .

ـ خطبت بنت صديقة لأمي ، ثم ابتعدنا قبل حفلة الزفاف .. لم تكن من نصيبي

قالت : كنت من نصيب سوسن .

ـ القدر هو الحكم في النهاية .. ماذا ترين في مسألة الخلفة ؟

فكرت قليلا وقالت : سوف نخلف في الوقت المناسب ؛ ليس لنا إلا شهران متزوجان

قال : أنا حابب أن تلدي ونحن في عز شبابنا.. الأبناء زينة الحياة الدنيا .

ـ سيحدث لا استخدم موانع الحبل والخلفة .. مثلك ارغب بالولادة

ـ على كل حال مع دخول شهر أكتوبر اذا لم يحصل الحمل سنقوم بفحوصات خاصة للعلاج

قالت : أراك مستعجلا اكثر من اللازم

ـ أن يرى الرجل أولاده في شبابه افضل من أن يراهم وهو عجوز ضعيف .. فهذا المقصد والمبدأ

قالت : أرجو أن يتحقق ذلك .. وتتحقق أمنياتك بأن ترى ذريتك قويا يا حبيبي .. ألم تجد لي عملا ؟

ـ أنا أتابع البحث وصديقنا المهندس جراد مهتم بالأمر مثلي

قالت : أنا بحاجة لبعض المال .. أرسلت أمي تطلب ذلك .. أيمكنك أن تقرضني ذلك المبلغ فلما اشتغل أسدك إياها أيها العزيز ؟ !

قال : كم ترغب أمك الغالية علينا ؟

قالت : اذا أمنت لي خمسمائة سأكون ممنونة لك

ـ ولا يهمك ، سأدبرها لك في اقرب فرصة وتسددينها على مهلك ..ولما تباشري العمل .. المهم أن نهتم بموضوع الحمل لارتاح ويرتاح كل من يسأل

***

وهكذا مضى أيلول أول شهور الخريف ودخل أكتوبر ولم يتيسر لها العمل أو يسعيا إليه بعزم وقوة ، وكذلك لم يحدث الحمل رغم قيامه ببعض الفحوص الخاصة بالإخصاب ، ووافقت هي على القيام بمثلها في اقرب فرصة ، ذات نهار رجع من المدرسة كالعادة فلم يجد زوجته في البيت تستقبله وتشاركه وجبة الغداء بعد ساعات متعبة من التعليم بين الطلاب والإدارة ، فاستغرب بداية فليس من عادتها الخروج بدونه منذ رجعا للوطن ؛ ولكنه تذكر أنها حدثته قبل خروجه للمدرسة أنها قد تذهب للعيادة في شارع مسعود عيادة نسائية معروفة لأهل الحي ، وكان يحلم صباحا بأن تكون أسباب الألم بأنها حامل بذريته .

دخل العصر بدون أن تحضر، فازداد قلقا وتوترا وشك بذهابها للعيادة كما همست صباحا ، فطرق باب اقرب الجيران فقالت زوجة جاره : ذهبت لعيادة الدكتورة نوال كما سمعتها تقول لي مخبرة عن سبب مغادرتها مبكرة .

فشكرها ودخل واشعل النرجيلة وتناول بعض الطعام وحده وشرب الشاي واقترب المغرب فزاد الخوف والقلق فركب سيارته نحو العيادة النسائية شارع مسعود فهي معروفة له فكانت تذهب إليها والدته واخته .

أوقف سيارته أمام المجمع الطبي فوجد الحارس الخاص به يجلس أمامه فسلم عليه وقال : عيادة نوال مفتوحة !

قال الحارس : أهلا أستاذ فهمي .. الدكتورة وزميلتها انصرفتا ، قد تجد الممرضة ترتب الأمور لإغلاق العيادة .. ماذا تريد منهن ؟

ـ زوجتي جاءت اليوم للعيادة ولم ترجع بعد فظننت أنها هنا

ـ أسأل الممرضة قبل أن تغلق العيادة كليا ؛ لعلها حولتها للمستشفى

ـ مستشفى !

دخل مدخل البناية مرتبكا من فكرة المستشفى ، ووجد ممرضة عيادة نوال تغلق الأبواب فحياها وسألها عن زوجته سوسن فقد قامت من قبل بزيارة العيادة لمشاكل مهبلية عانت منها بعد العودة من سوريا فقالت : حسب علمي لم تأت إلينا الأخت سوسن !

قال قلقا للغاية : معقول أين ذهبت ؟!

ـ ربما لعيادة أخرى ، هي مرة واحدة جئت بها إلينا على ما اذكر

ـ صحيح شكرا

قفل عائدا ومنزعجا ومحدثا نفسه : أين ذهبت ؟ لا اعرف أقارب لها هنا .. لم نقم بزيارة إلا لبعض أهلي وبيوت زملائي بصحبتها .

في الصباح التالي اتصل بالمدرسة معتذرا عن الدوام والعمل ، ومضى النهار ولم تحضر سوسن للبيت ، فبلغ الشرطة في نقطة شارع سيدو عدنان ، وبعد أيام اخبروه أنها غادرت الحدود إلى سوريا فقال مخاطبا نفسه : هل حدث لأهلها شيء لقد استلفت مبلغا قبل أيام ؟! لماذا لم تتصل بي ؟ تسافر بدون إخباري ماذا حدث يا عالم ؟! هل جنت سوسن لتسافر بدون ترخيص مني أو وحدها ؟ هذا تصرف إنسان مجنون .. رن على محمود زميل المدرسة الأولى وأمره أن يتكلم مع المهندس جراد ليتصل بأهلها ويفهم الموضوع والسفر المباغت .

فاتصل بالمهندس قريب زميله محمود المهندس جراد وروى له اختفاء سوسن وسفرها لسوريا بدون إذن ، وبعد أيام اخبره أنها عادت لسوريا وترغب بالطلاق ، لم تعجبها الحياة معه ، فصعق وسافر به المهندس للشام ، والتقوا بقريبها الذي اكد له أنها ترفض العودة وترغب بالانفصال بدون سبب إلا أنها كرهته وغير مرتاحة بمعاشرته ، وبعد لقاء معها وبمساعدة من المهندس قاسم تنازلت عن مؤخر الصداق ، وحصل الطلاق وعاد مع المهندس للوطن مقهورا مغلولا مصدوما من فشل زواجه في اقل من ثلاثة شهور ، كان في البداية قد رفض الطلاق ، ولما رأى

إصرارها وتنازلها عن مؤخر صداقها قبل وطلق مرغما وحزينا .

***

اتصلت به خالته صبح أم حسيب وطلبت منه بعد عودته من المدرسة أن يمر عليها ليتعشى معها لتتحدث معه بشأن سوسن وهربها ، وفي المساء فعل ذلك ولما انتهت المجاملات التقليدية وشرب الشاي قالت : أنت يا فهمي غير محظوظ مع النساء أنت مسحور !

صاح دهشا ومحدقا بوجهها : مسحور كيف يا خالتي ؟ ومن سحرني ؟وهل يسحر الناس ؟!

أليس هذا كلام قصص وخيال ؟!

قالت ببطء مقصود : هذه ثاني مرة تطلق خلال شهور .. فهذا أمر غير طبيعي لابد أن احدهم عمل لك سحرا .

بعد صمت وتفكير وأدب قال : وكيف سأعرف أنني مسحور ؟ واعرف من سحرني يا أم حسيب ؟

قالت بقوة : لعل بنت الأرمل زوج امك هي التي سحرتك .

قال متأملا الفكرة : ولكنها تزوجت احد أصدقائها القدامى كما فعلت أمي ودُعيت لحفل زواجها ولم اذهب حتى ولو من اجل شأن خاطر السيدة أمي

قالت : ولا أنا ذهبت رغم تأكيد حُسن امك على حضوري .. كانت زيجة امك عارا علينا .. خلينا في السحر ؛ لعلها هي التي تريد الانتقام منك لأسباب خفية

ـ لم تكن زيجتنا صحية من البداية يا خالة .. لولا ضغط أختك لما مشيت في خطبة .. وهذه السورية قالت لي لما ذهبت إليها أنا بغضتك وكرهتك بسرعة ، ولن أعود معك فاضطررت لطلاقها أو أجبرت على طلاقها هي الأخرى ، لعنها الله

ـ احدهم سحرها لتكرهك .. فأنت مسحور .. عليك البحث عن شيخ يفك لك السحر حتى اذا تزوجت لا تعود للطلاق يا ابن أختي .. ما دامت أختي كانت ترغب بالزواج فكان من الأنسب أن تذركم عند زوجة أبيكم

ـ نحن لم نعرف بقصة حب الماضي إلا عندما ماتت أم جميل .. وهي لم تطلب الطلاق لتعود للرجل فقد كان متزوجا صديقتها .. هي قالت إنها طلقت لأنها لا ترغب بأن تكون ضرة

قالت بحدة : أختي عقلها خفيف مع احترامي لك ؛ لكني أحببت أن أنبهك عن سبب فشل زواجك المتكرر هو السحر وتحتاج لشيخ يعالج السحر قبل أن تغامر بزواج ثالث .

***

لعلك مخدوع

لما سمعا قصة خالة فهمي وموقفها من فشل زواجه من سحر ثم من سوسن غمرهما الضحك لبعض الثواني قال له رضوان : لعل احدهم عمل لك حجابا أو سحرا كما نسمع أو كما فهمت خالتك .. هل يوجد سحر يا محمود ؟

قال محمود : يوجد سحر بالتأكيد ؛ لأنه مذكور في القرآن ويقول به العالم ..ولماذا يسحر العم فهمي ويحجب له ؟! هذا السؤال .

قال فهمي باسما : سحر ولماذا أسحر فعلا ؟! لا ادري كيف يقتنع الخلق بهذه الأفكار ؟!

قال محمود : يا عمي السحر والشعوذة منتشرة بين الجهال حتى ولو كانوا يحملون شهادات علمية ..لقد كان معنا يا رضوان اذا ما زلت تذكر مدرس قبل تعيين فهمي في مدرسة جرير يتعاطى السحر وتخريج العفاريت الأستاذ حامد الشروي

قال رضوان : اذكره لم يطل مقامه عندنا

قال محمود : لقد كان يزعم يا أستاذ فهمي أن لديه قدرة وقوة على إخراج الجن من أجسام المصروعين من قبل الجن

قال رضوان متذكرا : يا رجل كان هذا أستاذا مهبولا! .. هذا يا فهمي كان في المدرسة طالب مصاب بالصرع ؛ فكان يفسر مرضه بالصرع بأن في جسمه جنيا هو الذي يصرعه ، وليس مريضا بالصرع كغيره من البشر

قال فهمي مؤكدا موقفه من السحر : عمري ما آمنت بمثل هذه الخرافات يا رضوان .. هل ابتعدت عن سحر بسبب السحر ؟ وهل هربت تلك بسبب السحر ؟ ولماذا درسنا الفيزياء والعلوم يا إخوان ؟!

محمود : لنحسم الأمر .. اسمعوا لنذهب إلى الشيخ بهنس بهذه القضية .. فهو عالم يستفتيه الناس .. نسمع رأيه في هكذا قضية ، فهو شيخ يستفتيه الناس رغم صغر سنه

قال فهمي : الشيخ بهنس سمعت به .. ماذا نقول له زوجتي هربت من بيت الزوجية وأجبرتني

على طلاقها لماذا ؟! مهزلة يا رفاق العمر حقا أنها مهزلة ! أنا الذي عاشرتها ثلاثة اشهر لم اعرف بالتحديد سبب هربها فسيعرف بهنسكم هذا السبب !

رضوان : الشيخ بهنس قد يفيدنا بسبب طلبها الطلاق بدون بيان واضح منها .. هل كان هناك سحر وحجاب ؟أأنت المسحور أم هي ؟

قال فهمي معترضا : أنا لا احب الشيوخ والدين هكذا تربيت

قال محمود : وما دخل الشيوخ بالتربية يا فهمي ؟! التربية تكون من الوالدين .

بعد صمت قال مصدوما : بهنس سيعرف لماذا طلقتني سوسن اللعينة؟!

ـ نحن سنذهب اليه من اجل السحر والحجابات يا رجل .. لعل كلام خالتك له شيء من الصحة .. فهؤلاء النسوة لهن على مثل هذه الخزعبلات .. يعملن السحر للشفاء لزواج فلانة بسبب تأخر زواجها وغير ذلك من الهبل ..فاذا كنت مسحورا سيكشف لك الأمر ويساعدك بزوال السحر ويقدم لك النصح .

***

اتصل رضوان بمنزل الشيخ بهنس فهو صديق أخيه الشيخ أحمد ، وكانوا بعد صلاة العشاء يغادرون المقهى لزيارة بهنس ، فرحب بهم على بوابة المسجد الذي يخدم فيه ، ثم تقدمهم لبيت الإمام المجاور للمسجد ، وهو يرحب بهم ويستفسر عن أحمد شقيق رضوان ، ولما استقر بهم المقام في غرفة الاستقبال طلب من زوجته صنع شاي للضيوف ، وقص محمود قصة فهمي أولا طلاقه لخطيبته سحر ، ثم زواجه من سورية وهربت منه لبلدها خفية دون بيان سبب بين، بعد مناقشات وظروف الاختفاء قال الشيخ الشاب : اسمعوا أقول لكم جميعا لا يوجد سحر ولا أي عمل قبيح من شعوذة وغيره نحو فهمي الطيب ، مسالة الخطبة الفاشلة لم تكن بتوافق حقيقي كانت مخاجلة يا أستاذ فهمي .. أنت غير مقتنع وهي غير مقتنعة .. وكثير من الناس يخطبون قانونيا ويطلقون .. هذا رأيي في القصة الأولى ؛ لأن الفتاة كما أجبت لم تقدم لك شيئا يثير الشبهات مما يفعله أهل السحر والشعبذة .. لم تطعمك شيئا يؤذي كما قلت .. كوبا من

الشاي بمعية العائلة قبل كتابة العقد أو يقدمون لك لقمة فيأكل منها الجميع .. ولما صرتم تخرجون للشارع والمطاعم والملاهي تأكلان الشيء نفسه حسب كلامك ..

قال رضوان : طيب هرب الزوجة بعد زواجه منها بشهور .

تأنى الشيخ قليلا قبل الرد ثم قال : اعتقد والله اعلم أنهم خدعوك بالزواج منها

صاح فهمي بحيرة : خدعوني ! خدعوني كيف ؟!

ـ في سورية ظاهرة تظهر أحيانا وتختفي أحيانا .. اعلم أن اغلب الفتوى في سوريا على مذهب ابن إدريس محمد ...

قال : من محمد بن إدريس ؟

ضحك الشيخ وقال موضحا : الإمام في الفتوى والعلم الشافعي رحمه الله .. وأضاف : أهل السنة يقبلون فتاوى أربعة علماء يسمون أئمة المذاهب الأربعة فالإمام الشافعي واتباعه يبيحون زواج المحلل غير المشروط في العقد .

قال محمود : المحلل ما هو المحلل ؟

اخرج الشيخ كتابا وقال : نقرأ أولا من الحاوي إمام في فقه الشافعي ثم يأتي التوضيح :

قال الماوردي :وصورتها في امرأة طلقها زوجها ثلاثا ، حرمت بهن عليه إلا بعد زوج ، فنكحت بعده زوجا : ليحلها للأول فيرجع إلى نكاحها ، فهذا على ثلاثة أقسام :

أحدها : أن يشترطا في عقد النكاح أن يتزوجها على أنه إذا أحلها بإصابة (أي جامعها) للزوج الأول ، فلا نكاح بينهما ، فهذا نكاح باطل

وقال أبو حنيفة : النكاح صحيح ، والشرط باطل ، والدليل على بطلانه ما رواه الحارث الأعور عن علي ، ورواه عكرمة عن ابن عباس ، ورواه أبو هريرة كلهم بروايته عن النبي ﷺ أنه قال : لعن الله المحلل والمحلل له . وروى عقبة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : هو المحلل والمحلل له ، ولأنه نكاح على شرط إلى مدة ، فكان أغلظ فساد من نكاح المتعة من وجهين : أحدهما : جهالة مدته والثاني : أن

الإصابة فيه مشروطة لغيره ، فكان بالفساد أخص ، ولأنه نكاح شرط فيه انقطاعه قبل غايته ، فوجب أن يكون باطلا أصله : إذا تزوجها شهرا ، أو حتى يطأ أو يباشر

والقسم الثاني : أن يتزوجها ويشترط في العقد أنه إذا أحلها للزوج الأول طلقها ، ففي النكاح قولان : أحدهما – وهو قوله في القديم " والإملاء " – : أن النكاح صحيح ، ولأنه لو تزوجها على أن لا يطلقها كان النكاح جائزا ، وله أن يطلقها ، كذلك إذا تزوجها على أن يطلقها وجب أن يصح النكاح ، ولا يلزمه أن يطلقها

والقول الثاني – نص عليه في الجديد من " الأم " وهو الأصح – : أن النكاح باطل : لأنه باشتراط الطلاق مؤقت ، والنكاح ما تأبد ، ولم يتوقف ، وبهذا المعنى فرقنا بين أن يشترط فيه أن لا يطلقها فيصح : لأنه مؤبد ، وإذا شرط أن يطلقها لم يصح : لأنه مؤقت

والقسم الثالث : أنه يشترط ذلك عليه قبل العقد ، ويتزوجها مطلقا من غير شرط ، لكنه ينوي ويعتقده ، فالنكاح صحيح : لخلو عقده من شرط يفسده ، وهو مكروه : لأنه نوى فيه ما لو أظهره أفسده ، ولا يفسد بالنية : لأنه قد ينوي ما لا يفعل ويفعل ما لا ينوي ، وأبطله مالك ، وقال : هو نكاح محلل ، وحكى أبو إسحاق المروزي عن أبي حنيفة أنه استحبه : لأنه قد تصير للأول بإحلالها له، وكلا المذهبين خطأ ، بل هو صحيح بخلاف قول مالك ، ومكروه بخلاف استحباب أبي حنيفة ، لما رواه الشافعي عن سعيد بن سالم ، عن ابن جريج عن ابن سيرين : أن امرأة طلقها زوجها ثلاثا ، وكان يقعد على باب المسجد أعرابي مسكين فجاءته امرأة ، فقالت له : هل لك في امرأة تنكحها فتبيت معها الليلة ، فإذا أصبحت فارقتها قال : نعم ، ومضى فتزوجها ، وبات معها ليلة ، فقالت له : سيقولون لك : إذا أصبحت فارقها ، لا تفعل ، فإني مقيمة لك ما ترى واذهب إلى عمر ، فلما أصبح أتوه وأتوها ، فقالت لهم : كلموه ، فأنتم آتيتم به ، فقالوا له : فارقها ، فقال : لا أفعل ، أمضى إلى عمر فأخبره ، فقال له : الزم زوجتك ، فإن رابوك بريبة فائتني ، وبعث عمر إلى المرأة التي مشت لذلك فنكل بها ، وكان الأعرابي يغدو ويروح إلى عمر في حلة ، فيقول له عمر :الحمد الله الذي كساك يا ذا الرقعتين حلة تغدو فيها

وتروح فقد أمضى عمر النكاح : فبطل به قول مالك في فساده ، ونكل عمر بالمرأة التي مشت فيه فدل على كراهته ، وفساد ما حكي عن أبي حنيفة من استحبابه.

اغلق الشيخ الحاوي الكبير وقال الشيخ : وهناك بين يدي بحث في المسألة خلاصته التعرف على قضية (نكاح المحلّل: دراسة فقهية مقارنة)، وقد اتضح من خلال البحث اتفاق جمهور الفقهاء – المالكية والشافعية والحنبلية وأبي يوسف من الحنفية والظاهرية – على بطلان وفساد عقد نكاح المحلل إذا شرط التحليل في العقد بأن يحلها ثم يطلقها. وعند أبي حنيفة وزفر العقد الصحيح والشرط فاسد.. أما إذا لم يشترط ذلك في العقد ونوى تحليلها فعند الحنفية العقد صحيح وكذلك الشافعية والظاهرية ولكن يكره عمله عند الشافعية ، أما عند المالكية والحنبلية فالعقد باطل واجب الفسخ سواء اشترط أو لم يشترط أو نوى ذلك وقصده.. والرأي الراجح في المسألة هو ما رجحه ابن القيم الجوزية – رحمه الله – وهو ما ذهب إليه المالكية والحنبلية وجمهور الصحابة والتابعين أن النكاح المحلل حرام وباطل؛ حيث هو كالمنافق، الذي يشهد الشهادتين ظاهراً وهو في ذلك مخادع، فذلك المحلل إذا قال: تزوجت، وهو لا يقصد بلفظ التزوج المعنى الذي جعله الله في الشرع؛ كان إخبارا كاذباً وإنشاء باطلاً؛ فهذا اللفظ لم يوضع في الشرع ، ولا في العرف، ولا في اللغة لمن قصد رد المطلقة إلى زوجها ، وليس له قصد في النكاح الذي وضعه الله بين عباده وجعله سبباً للمودة والرحمة بين الزوجين، وليس له قصد في توابعه حقيقة ولا حكماً، فمن ليس له قصد في الصحبة ولا في العشرة ولا في المصاهرة ولا في الولد ولا في المواصلة ولا المعاشرة ولا الإيواء، بل قصده أن يفارق لتعود إلى غيره، فالله جعل النكاح سبباً للمواصلة والمصاحبة والمحلل جعله سبباً للمفارقة، فإنه تزوج ليطلق؛ فهو مناقض لشرع الله وحكمته.

وبعد صمت قال الشيخ بهنس : اذا طلق مسلم زوجته ثلاثا في حالة زعل وغضب تطلق عند الأئمة ـ إلا اذا كان الغضب شديدا فهناك كلام آخر ـ ولا يحق لها أن تعود لزوجها الأول إلا اذا تزوجت ذكرا آخر لبضعة أيام أو شهور أو سنيين ثم تطلق لتعود لزوجها الأول فهذا الزوج

الثاني يسمى المحلل أما اذا طلقها عن شرط أو خداع فيسمى التيس المستعار كما سبق من كلام الحاوي ..فاعتقد أن زوجتك لم تكن بكرا كانت مطلقة ثلاثا وزوجوك إياها بدون شرط بينكم عملا بالمذهب لتحل بالعودة لزوجها الأول بعد حين وتجبر على طلاقها .. أنت لم تتزوجها بكرا يا فهمي

اخذ فهمي يراجع قصة زواجه السريعة من سوسن وقال : لم اسمع أنها متزوجة قبلي ، ولم انتبه لعذريتها كنت في لهفة للحلال والنكاح .

ـ لا يقال لك ذلك ؛ لتتم الحيلة والغدر فأنت لم تكتشف ذلك ليلة دخلتك فمشت الأمور كما خطط مهندسك المتآمر .. وغرر فيك وفي قريب محمود أو فيكم الثلاثة المهندسان وأنت

قال محمود : سأحدث ابن العم بهذه الحيلة والخدعة

قال بهنس : لماذا لا تتوب يا أستاذ فهمي ما دمت تخشى السحر ؟ صلي صلي وأنا سأدبر لك زوجة صالحة .. فالدين يحميك من كل الخزعبلات أنت وسائر الشباب .. الدين حصن المسلم في السراء والضراء

قال رضوان : أنا يا شيخ بهنس اصلي واقطع انصحني فأخي احمد لا يقطع فرضا

ـ السحر يا شباب عند الجهلة والعوام البسطاء وفي عالم النساء أكثر

قال محمود : شيخ بهنس كم لك من العمر أنت شيخ صغير ؟

ضحكوا وقال : الحمد لله .. مضى من العمر ثلاثون سنة

قال رضوان باسما : عندما نسمع بعض الشباب يردد الشيخ بهنس ظنناك كبيرا في السن

ـ أنا درست العلوم الشرعية وتجولت في عدد من المساجد واعظا وداعيا وخطيبا فصارت لي بعض الشهرة .. السحر موجود أيها الأخوة لقد ورد في القرآن العظيم أما هؤلاء الفتاحون فجهلاء ولهم قدرة على استغفال الجهال أمثالهم .. ولا اهتم بهم وفك أسحارهم وشعبذتهم هم دجالون أيها الأصدقاء .. فمنهم أميون لا يعرفون قراءة القرآن .. المهم يا أستاذ فهمي تشرفت بمعرفتك أنت والشباب .. وأنت بدا لي إنسان طيب ومحترم واذا تبت فأنا مستعد أن أتعاون

معك وأخدمك لتزويجك بنت حلال كما يقال .

قال مستوعبا النصيحة : فعلا يا شيخ أنا ارغب بالتوبة واثبت عليها

ـ ابدأ وستتحسن أمورك النفسية والصحية

***

اتصلت خالة فهمي ذات أمسية فبعد السلام والكلام المعتاد قالت : هل ذهبت للمشايخ ؟

فقال ضاحكا : فعلت كما نصحتيني يا أم حسيب شغلتك معي .. ذهبت إلى الشيخ بهنس وقال لي لا تصدق السحرة ولا الحجابين هذا كله شعوذة لسرقة الأموال . وقص عليها فكرة المحلل والتيس المستعار .

فبعد صمت من قبلها تنهدت وقالت : قد يكون كلامه صحيحا .. أنت تعرضت لحيلة إذن لقد حدث مثل ذلك لابن صديقة لي ..وهذا تتأكد منه باعتراف من زوجتك بأنها كانت مطلقة واستغلوا غربتك وجهلك بالنساء

قال بحزن : سأفعل ليرتاح ضميري .. والحياة تجارب ويتعلم منها .. قد يسمع المرء جملا وكلمات لا يفهم القصد منها إلا بعد حين .. ونصحني سيادته بالتوبة واذا فعلت سيبحث لي عن فتاة صالحة .

قالت بحزن وشفقة : أمكم حُسن قصرت معكم في التربية الدينية .. أولاد أبيك كلهم ملتزمون بالدين ويمرون عليّ في العيد والمناسبات .. للأسف أمكم تكره الصلاة والصوم منذ صغرها وكنا نظن أنها بعد الزواج ستتحسن ولم تتحسن ظلت تعيش للدنيا؛ لذلك اعتقد أن حياتها مع أبي جميل لن تستمر فالرجل متدين يا فهمي .. أما انه لا يوجد سحر وحجب فاعتقد أن الشيخ مخطئ يا ابن أختي !

ـ هو لا ينكر وجود السحرة والجن ..فهما مذكوران في القرآن .. يقول كل ذلك دجل واحتيال فكثير من الشباب يخطبون وينفصلون هل كل هؤلاء مسحورون ومصنوع لهم عمل وحجب سحرية ؟ .. كلام منطقي يا خالتي ..أنا وبنت أبي جميل لم نكن مرتاحين لبعض قبل إشهار

الخطبة .. كنا خاضعين لضغط الأمهات الصديقات .. وها أنا بدأت اصلي وسيساعدني أبي في شراء شقة ؛ لأنه مثلك يتوقع أن زواج أمي لن يدوم ؛ لأنهما فشلا في الزواج قبل أن يتزوج أمي فقد عارض أخوالي تلك الأيام لمشاكل بين الأسرتين

قالت بصراحة : صحيح ..كان الأهل ذلك الوقت لا يتقبلون زواج الشاب والشابة نتيجة قصة غرام .. فيعتبر عيبا في حق العائلة وأنهم لم يحسنوا تربية ابنتهم .. اليوم الانفتاح اكثر فلم يعد يستهجن زواج شاب من شابة تعرف عليها في المعهد المتوسط أو الجامعة أو حتى في دكان أو شارع أو عيادة

ـ المهم وعدني بهنس بعد شهرين من التوبة أن يسعى لإسعادي في الزواج .. وقد ارتاح قلبي له لعلمه وأخلاقه .. وهو شيخ صغير ظننته رجلا هرما أو كهلا على الأقل أنه يكبرني ببضع سنوات

بعد صمته سألت : ما أخبار مها ؟

ـ ألا تتصلين بها ؟

ـ افعل ولكنها في الغالب لا ترد

ـ ربما ؛ لأنها صباحا في المستشفى حيث تعمل هي وزوجها .. فهي انتقلت للعمل معه في نفس المستشفى ومساء في محاضرات الماجستير .

ـ ممكن

ـ على كل أخبارها جيدة ! سمعت أنها حملت سمعت ذلك من أمي ، ثم سمعت أنها أسقطت الجنين بعد شهرين من الحمل

ـ سمعت ذلك من امك فأنا أسألها عنها دائما .. سلم يا فهمي

***

سقط الحمل

أجرت مها عملية تنظيف الرحم بعد حمل امتد لشهرين في نفس المستشفى الذي تعمل فيه هي ودانيال ، قال دانيال بعد عودتها من المشفى : كيف حصل الحمل ؟ هل تركت الحبوب ؟

قالت بضيق : لم ادع الحبوب يبدو أن خطأ ما قد حصل أو الحبوب فاسدة ويقال لا مانع مائة في المائة .. أنت تعلم انني مثلك لا ارغب بالحمل سريعا لقد كنت انسى بعض الأيام من أخذه

قال : الحمد لله على سلامتك .. أنا لست ضد الحمل لكن من اجل الدراسة

قالت : الدراسة لا تعيق الحمل يا دانيال كم مرة نذهب للدراسة في الأسبوع ؟

قال : أمي تحب أن تحملي سريعا واعتقد أنها ستتضايق من الإجهاض الذي حصل

صاحت في وجهه : وما دخل امك بنا وبحملنا وحياتنا يا دانيال ؟ أنا لا احب أن تكون حياتنا تحت سلطتها ورضاها وسخطها فلتكف عن التدخل في أمورنا

ـ تظل أمي

ـ أنا لا اطلب منك أن تهجر امك.. وعلينا أن نقلل من زيارة بيت امك .. مرة واحدة منذ تزوجنا دخلت هذا المنزل مع انه في ارقى أحياء المدينة

ـ ما هي التي تدفع إيجاره ؟

ـ هي تدفع عنك ؛ وليس عني .. أنت ابنها .. يا رجل تتحدث عن أمي ببغض وتعيرني بها ؛ كأنها تعرفها وهي تحبو .. أمي كانت تحب أبا جميل قبل زواجها من بدر الدين .. هذا كلام والله أنا ما سمعت به إلا بعد موت أم جميل

ـ خلاص لما اذهب لبيتها لا تذهبي معي لن ازعل

قالت : هو الأفضل، لم أعد أطيق وأتحمل تعليقاتها على أمي واخي فهمي .. هل هو أول شخص تهرب امرأته من بيته ؟!

***

لقد كانت العلاقة الاجتماعية بين مها وأم دانيال سيئة إلى حد كبير ، كانت ملك أنوار ترى أن

زواج ابنها منها غير مناسب لمستواهم الاجتماعي وطبقتهم الاجتماعية ، ولما تعرفت على العروس ، وعلمت أن الزواج سيحصل قريبا وبدون خطبة ، وسيكتفيان بحفلة واحدة أبدت رفضها وعدم قبولها حتى ولو أنها تدرس معه في الكلية وستتحصل على الماجستير مثله ثم الدكتوراه ؛ ولكن الشاب أصر على الاقتران بها وبزميلة الماجستير ، ولم يكترث لمعارضة والديه وأسرته رغم حاجته إليهم ماديا ، كيف يتزوج فتاة تعتمد على راتبها فقط ؟ لا ثروة ولا مال ولا استثمار ، وأم مطلقة أحبت زميلا لها ورفضه أهلها ، ثم رجعت اليه بعد عمر وزواج فاشل سابق ، قال زوج مها ذات ليلة بعدما رجع للبيت ، وقد كان وحده في زيارة بيت والديه : مال أمي غضبانة منك يا ست مها ؟

ـ شكتني لك !

ـ كنت أتحدث معها على التلفون فقالت لي بغضب : احذر أن تزورنا ومعك شيطانتك

ـ شيطانتك !

ـ فادركت فورا بحصول مشكلة بينكم ما القصة؟

ـ ألم تسمع منها ؟

ـ أغلقت التلفون في وجهي ، فقمت بالمرور عليها لم أتابع الحديث على الهاتف .

قالت : لو تكلمت عن (التطش بيننا) لن تصدقني فالأفضل أن تزورها مرة أخرى وتسمع منها قبل أن تسمع مني .

ـ قولي شيئا

ـ الصمت افضل

قال مختصرا : كما تريدين .. أنا قلت لك أمي لا تحبك منذ عارضت الزواج .. فالزمي الصمت والاختصار بالحديث معها ..لحتى الآن لا تقبل الملعونة زواجنا .. لا تعترف بالأمر الواقع ـ سكت وشفط جرعة من شرابه ـ لقد اصبح شقيقك متدينا ما القصة ؟

قالت : الله هداه .. إخوتي الثلاثة من أمي حصة أبي الأكبر منا يصلون ويرتادون المساجد

اقصد الذكرين إلياس وأنيس .. أما نحن الذين عشنا عند أمي فلم نفعل مثلهم .. الشيخ بهنس شيخ معروف في شارع سيدو عدنان منذ تخرج من كلية الشريعة كان يخطب في بعض مساجد الشارع فعرفه الناس ومعروف كذلك في كثير من أحياء المدينة .. التقى به فهمي ظنا منه انه مسحور ومسقي أو مطعوم بسبب طلاقه لسحر بنت زوج أمي الحالي ، ثم زوجته سوسن التي هربت إلى بلدها منه فدعاه للتوبة ليساعده بالزواج من فتاة متدينة .

فقال ساخرا من الفكرة : وهل المتدينات لا يطلقن ؟ الطلاق لا يفرق بين متدينة ومتفرنجة .. الطلاق موجود عند كل الشعوب المتدينة والملحدة

ـ أعرف يا سيد داني .. لا ادري بالقصد الحقيقي لتدينه إلا ما قيل ! ثقافتي الدينية ضعيفة أو قل صفر .. أمي طلقت ونحن صغار ، فلم نعرف صلاة ولا صيام إلا من أطفال الشارع أو المدرسة وأحيانا من طلبة الجامعة .

قال متفلسفا : الدين مأساة العالم ! يضحكون على الناس بالدين

هتفت بحدة : هذه أفكار ماركس وزبانيته .. وهل الاشتراكية التي تزعمها ضد الدين .. حسب معرفتي البسيطة الاشتراكية منهج اقتصادي ضد الرأسمالية ، حتى العلمانية لا تتدخل في الدين .. هي كما نسمع فصل الدين عن الدولة .. الدين في المعبد فقط

صاح محتجا على اتهامه بدين ماركس : قلت لك مائة مرة لست ماركسيا أو شيوعيا ، ولا يعني هذا اني متدين .. القومي غير متدين ومثله الوطني

قالت بهدوء : وأنا مثلك لست متدينة ، ولم اعرف التدين ؛ ولكنني لا أعيب على أهل الدين تعرفنا خلال الجامعة على فتيات من مختلف تيارات الإسلام والقوميات والماركسيات الجامعة تحوي الجميع يا إنسان !

***

لم يستطع فهم المشكلة الأخيرة التي دارت بين والدته وزوجته ؛ لذلك زار في الليلة التالية منزل أمه ولما أدخلته الخادمة ؛ حيث تجلس امه واخته داليا بحصة صاحت فيه أمه : لماذا جئت ؟ ألم

اقل لا أريد أن أراك أنت وشيطانتك ؟

اشعل سيجارة وقال : جئت لأعرف الحكاية

ولما جلس في غرفة الصالون طلب من الخادمة جانيت كأس شراب فصاحت أمه : جئت تسكر عندنا لا تحضري له شيئا جانيت

قالت داليا : أهلا داني ..

قال : كيف حالك داليا ؟ كيف زوجك وأطفالك ؟ .. هل ما زلت دلوعة ماما ؟

قالت أمه : ما زالت دلوعة ماما .. امر لا يخصك أنت غضيب .

عاد يقول : أريد أن اعرف اذا كنت ترغبين بطلاقها .. سأفعل لما اخرج من هنا .. أريد أن اعرف سبب الحكاية !

صرخت قائلة : خفت أن تعرف منها

صرخ هو الآخر : ولماذا أخاف ؟! سألتها قالت اسمع من امك أولا قبل أن تسمع مني .

جلست امه بعدما هاجت وقالت : لما أجهضت امرأتك قبل فترة سألت الدكتورة التي ذهبت إليها عن سبب الإجهاض فقالت بعد إلحاح : لقد أخذت أدوية إجهاض يا ست ملك .. لا تريد الحمل منك .

اشعل سيجارة وصاح في الشغالة : هات الشراب يا جانيت !

تابعت بصراخ : لما كاشفتها بذلك قالت : أنت لا دخل لك في حملي وعدمه أنا متزوجة من دانيال ليس منك .. فصرخت فيها وقلت أنت متزوجة من كل العيلة يا وقحة فشتمتني وخرجت

قال ساخطا : بس يا أمي أنا الذي طلبت منها إسقاط الحمل .. نحن ندرس وأمامنا سنوات فالحمل يحتاج لرعاية طبية وإرضاع وحضانة والدراسة العليا مهمة لكلانا

ـ لم تقل لي ذلك

قال : لو قالت لن تصدقيها .. ما هو أنت عرفت من طبيبة المستشفى .. الطبيبة قالت لي أمك

تسأل عن سبب الإجهاض .. لم تسأليني عن سبب الإجهاض قبل أن تسأليها

قالت بحيرة : أنا ظننت أنها فعلت ذلك من دون علمك .. لا ترغب بالحمل منك .

قال : فعلت ذلك برغبتي ورغبتها فهذا امر يخصنا نحن فقط

ـ ويخصنا يا داني أولادك أولادي ..لماذا تصرفت معي بحدة وسب ووقاحة ؟

قال : لأنك كشفت الأمر من دون علمنا .. ضغطت على طبيبة القسم لتعرفي السبب .. هذه حياتي يا أمي .. لا تتدخلي بحياتي وحياتها

قالت بغضب : أنت تتكلم بلسانها .

صرخ عاليا : أنا أتكلم بلساني أنا .. لسنا صغارا

قالت بهياج : لا تدخل هذا البيت أنت وهي .. لعنة الله عليكم

قال بجنون : يا أمي أنا اعتمد على نفسي وشهادتي .. فلست بحاجة إليك ولأبي ، لما اخلص الماجستير سأهاجر إلى كندا أو أستراليا كرهت بلدكم وعيشتكم

ـ احسن ارتاح منك ومنها .. أنت طول عمرك رجل غضيب أسوأ واحد في إخوتك .. وسنوقف عنك إيجار غرفتك ما دمت لست بحاجة لنا ولمالنا

صرخ قائلا : أنا الشيطان وهي الشيطانة ..لا اعلم من دخلكم في حياتنا ؟ لماذا تتدخلون في حياتي الخاصة يا عالم ؟

احمر وجهها من السخط وقالت : اغرب عن وجهي أنت لعين .

دخل شقيقه الفرد وقال وهو يطوع بيديه عاليا : ما بكم ؟ صراخكم في كل الفيلا ؟ مالك يا أمي مثل الثور الهائج ؟ صياحك واصل لباب الفيلا

ـ أخوك الحقير راح يجلطني؛ لأنني أحببت أن اعرف سبب إجهاض الشيطانة مها

قال دانيال : حقير فقير اسمع يا الفرد زوجتي مها أسقطت الحمل ، فحققت امك مع الدكتورة دون علمنا عن سبب إسقاط الجنين الذي لم يبلغ ثلاث اشهر بعدما أخبرتها الدكتورة اللعينة أن سبب إسقاط الحمل الأدوية ، فتشاجرت امك مع مها ؛ لأنها أفشلت الحمل بتناول أدوية

تسهل الإجهاض وتشاجرنا أنا وحضرة اللي اسمها أمي .. فقلت لها أنا شاركت في إسقاط الحمل نحن ما زلنا ندرس فلا وقت للحمل والحفاضات والرضاعة والحضانة وقلت لها لا دخل لك في حياتنا فطردتني هذه اللعينة المجرمة .

قال الشاب بغضب هو الآخر : ولماذا الغلط عليها أمامي ؟

صاح فيه دانيال بجنون : ومن أنت حتى لا اغلط عليها أمامك ؟ لعنة عليكم كلكم

فهوى الفرد بكفه على وجهه دانيال الذي وضع يده على خده وصاح مبحلقا في أمه : هذا الذي تريدينه يا ملعونة أن نتصارع . وتلقى صفعة ثانية اقوى من الأولى

فتناول مزهرية قريبة منه وضرب بها رأس أخيه فخر صريعا وارتفع صياح الأم وداليا والخادمة وغادر الشاب المنزل مسرعا وقامت الشغالة بالاتصال بالإسعاف والبوليس

***

لم يمت الفرد من الضربة بتلك المزهرية الزجاجية ؛ لكنه اصبح معاقا ، وقضى الشاب في السجن وعلى اثر الحبس طلبت مها الطلاق ، وعادت لشقة أمها التي تركها فهمي لما امتلك شقة بمساعدة والده وقد صدمت القصة العائلة

وقام فهمي بمساعدة مها بفرش البيت من جديد ؛ لأنه لما تزوج سوسن تخلص من الأثاث القديم ، ولما رحل للشقة الجديدة نقل العفش الجديد وبقيت الشقة فارغة من اغلب الأشياء وكادت أن تعرض للإيجار ، وقال لها مواسيا : الحياة هذه الأيام معقدة .. حظنا مع الزواج غريب أنت وأنا وأمي .. فإلياس وأنيس وحتى الطبيبة سهام حظهم افضل من حظنا في الزواج

قالت مدافعة عن اختيارها : دانيال جيد يا فهمي ! وأنا لم اقبل به اعتباطا المهم رجل .. وأنا رويت لك قصة أمه الملعونة وتدخلها في أمورنا الخاصة ولم يعجبها إسقاط الحمل ، وهو لم يستطع الابتعاد عنهم كليا بسبب الدراسة والزواج واستئجار شقة فهم يركبونه كما يقال ؛ لأنهم يدفعون الإيجار فظل مربوطا بهم .. فأقساط الجامعة والسيارة تغطى من راتب العمل

قال : نحن في خدمتك .. وأنصحك أن تتعلمي الصلاة مثلي فالهدوء في طاعة الله .. وقريبا

سأتزوج بنت حلال كما اخبرني بهنس الشيخ .. حتى خالتي مهتمة بزواجي اكثر من أمي .. كل يومين ثلاث تتصل عن آخر الأخبار الزواج

قالت : سأفكر بنصيحتك .. وكان انزال الحمل من مصلحتي والا تورطت بطفل .. وما آخر الأخبار بالنسبة للزواج ؟

ـ الخيرة فيما يقدره الله تعالى .. والرجل قريبا سيحقق لي الحلم ونرتاح من قضية الزواج والعزوبية سأمر عليك الليلة لنزور الوالد .. اتصل بي وقال لما تنتهوا من تأثيث شقة مها مروا عليّ

قالت مها باسمة : سيعطيك مالا .. أبي يراقبنا عن بعد ويفرض علينا حبه بعطفه .. يا ترى لو بقينا عنده وتحت رعايته سنكون سعداء يا فهمي!

قال مفكرا بالسؤال : لو تفتح عمل الشيطان .. لو عشنا معه لما عرفنا أبا جميل ولا بنت أبي جميل ولا عرفنا سوسن وأم سوسن ولا عرفت أنت دانيال ولا أم دانيال .. وهناك السؤال الفلسفي هل الإنسان مخير أم مسير ؟!

ـ أنا عرفته عن طريق الكلية .. ليس عن طريق حُسن تيسير

قال مغتاظا : الجد تيسير لم اشعر يوما انه يهتم بنا مع أننا عشنا مع ابنته

قالت : يبدو انه لم يكن راضيا عن أخذنا ؛ ربما كان يرغب أن تتزوج ابنته فور انتهاء عدة طلاقها .. هل من فائدة لهذه العدة؟

قال : ما دامت شرع فهي ذات فائدة !

***

الصلاة مثلك

بعد زيارة الوالد وسماع توجيهات منه ومواساة وأثناء العودة ، طلب فهمي من شقيقته العيش معه حتى يتزوج ، فقبلت العرض ، قد بلغ منها الخوف مبلغا عظيما من أسرة زوجها ، وخشيت انتقام ملك أم فؤاد منها ، فهي قد خسرت ابنين دانيال والفرد ، وبعد ليال قالت لفهمي : أريد أن اصلي مثلك يا فهمي لعل روحي تهدأ من كثرة الوسواس والخوف .. أنا تعبت من شقاء الحياة وأنا في هذا السن .. أأجد راحة في الصلاة كما نسمع ؟

ـ كل الراحة والسكينة .. أكيد في العبادة راحة .. ويسرني أن تعودي لديننا ، ليس في الأمر مشقة كما كنت أتوهم .. خمس صلوات في اليوم .. الأمر سهل فعلا وجدته.. سأعطيك كتبا مختصرة تقرئين منها ، ثم أتدرج معك بالأكبر والأوسع كما فُعل معي .. وبعد حين سأنقل للشيخ بهنس أن يسمح لك بالقعود مع زوجته أم سلمة ليس عنده ذكور بعد تستفيدين منها فهي أيضا كما فهمت منه متعلمة وخريجة جامعة ومدرسة

ـ أنا عشت أسابيع مرعبة منذ تلك الليلة قضيت نصفها عند أم حسيب .. وفرحت جدا لما قبل الطلاق .. فرحت جدا خشيت على نفسي منه مع أنني رأيته شابا صموتا وعقلانيا

قال : العصبية والغضب يفتكان بالإنسان

ـ جيد .. هل من حديث عن زواجك ؟

ـ ربما مع بداية الصيف أتزوج قابلت أسرتين عن طريق الشيخ .. ولم يحصل الحسم وحتى خالتي لديها عروس لكنها غير ملتزمة .. محترمة تقول .. وستذهب خالتي لرؤية إحداهن التي رجحتها وقبل أهلها قبولا مبدئيا .

مسحت دموعا سالت على خديها وقالت : خالتنا تتعاطف معنا اكثر من أمنا !

قال : من زمان .. قالت لما هربت سوسن لو عندي بنت زوجتك إياها .. كل بناتي تزوجن أثناء دراستهن الجامعية ، وأمك لم تحب أن تناسب زوجي حليم

ـ سمعت مثل هذا الكلام .. أسرار الأسر عجيبة .. لو لم يحدث زواج أمنا من الأرمل لما عرفنا

بحكايته القديمة معها ورفض أخوالي الزواج منه .. أمنا مستاءة منا .. تقول خذلناها لما تزوجت الأرمل .. تريدنا أن نفرح ونبتهج بزواجها منه

ـ القصص تفتح على قصص أخرى .. جرح يفتح جرحا .. أنت لن تعودي للرجل بعد السجن

ـ لا، لا ، حصل الطلاق إلى الأبد ؛ لن تكون الحياة معه ومع أسرته هينة وسهلة .. هذا كله عرفته بعد الزواج الفعلي بيننا

***

مشت خالة فهمي بصحبة زوجة بهنس لمقابلة ارجح العروستين الآنسة باسمة علاء الدين وكان معها أيضا احدى بناتها ، استقبلت الأسرة الضيفات الثلاث احسن استقبال ، وبعد انتهاء حفلة الترحيب والتعارف قالت صبح المديرة المدرسية المتقاعدة من سنوات : انتم علمتم انني خالة الأستاذ الغلبان فهمي بدر الدين .. ولا ادري هل سمعتم بقصة زواجه من الأنثى الشامية وهربها ؟ وقد خدعوه كما تبين لنا فيما بعد بأنها حرمة وولية مطلقة فاستغلوا سذاجة ابن أختي وطيبته .. وانا احبه واعطف عليه كثيرا ، والزواج كما يقال قسمة ونصيب وابن أختي اثنى عليكم خيرا ، ويحب أن اعرف طلباتكم قبل الإقدام يا جماعة الخير

قالت أم وسيم أم باسمة : أهلا بكم في بيتنا وانتم بين أهاليكم .. الشيخ بهنس بارك الله فيه احضره ورأى البنت وتكلم معها كم كلمة وحدثنا عن فشله في زواجين ، وتحدث الشيخ عن ظروف كل زيجة وتبين لنا أن الشاب معذور ؛ وليس بصاحب مشكلات ونزاعات .. والنساء حظ ونصيب ، ووالده عرفنا انه رجل فاضل ودكتور جامعة محترم ، وعرفنا قصة تطليقه لأمه أم إلياس .. والرجل اثنى على ابنه حق الثناء ، وتحدث عن حظه السيء ، ولعل بزواجه من ابنتنا يتغير الحظ ، وحدث الرجل أبا البنت وخالها بكل احترام ، وشرح لهما قصة انفصاله عن زوجته الأولى وأخذها لفهمي ومها للعيش معها عند طلاقهما .

قال أم حسيب : أبو إلياس رجل فاضل رغم انه طلق أختي لظروف معينة تلك الأيام فأنا أكن له الاحترام والمودة ، فلا زال الأبناء الذين عنده يمرون عليّ كل مناسبة سارة أو غير سارة

وتطلعت جهة الفتاة وقالت : كيف رأيت ابن أختي يا باسمة ؟

ابتسمت الفتاة وقالت : كما قالت أمي وأم سلمة زوجة الشيخ الفاضل صديق أخي فواز انه شاب طيب والتوفيق بيد الله سبحانه .

قالت صبح : نرغب أن نسمع طلباتكم الأولية كقيمة المهر ومؤخر الصداق والملابس والحفلة وابن أختي لن يقصر معكم

وتحدثت زوجة الشيخ وقالت : زوجي اثنى على الشاب كثيرا وانه أهل للمصاهرة وتناقش مع فواز كثيرا حول زواجه من ابنتكم .. وكما قلت يا أم وسيم والد باسمة وخالها قابلوا الوالد الدكتور بدر الدين وحدثهم عن فهمي وأسباب انفصاله عن امه وكما قالت أم حسيب لكل قصة ظروف وحال

وتكلمت الطبيبة بنت صبح وأثنت عليهم الثناء الحسن ، وتكلموا عن تفاصيل المهر وبذلة العرس والصالون النسائي ووافقوا على أن تكون حفلة الخطبة والزواج حفلة واحدة كما اقترح فهمي والشيخ بهنس

***

تزوج فهمي في منتصف نيسان بعد انتهاء شهر صيام رمضان الذي كان في أول أسبوع من آذار عام ١٩٩٢ حسب ما رسم له الشيخ بهنس ، ورحلت مها بعد أن رفضت البقاء في شقة فهمي وشقة أمها رحلت للعيش في عمارة والدها بدر الدين في شقة صغيرة صممها لها على ظهر العمارة وتسمى روفا بعد أن قبلت بالعيش معه ومع إخوتها الذين يسكنون في نفس البناية ، فهي ما زالت مرعوبة من اعتداء طليقها على أخيه بمزهرية من الزجاج أدت إلى عاهة في رأسه ، ولما أنهت الماجستير في نصف حزيران انتقلت لجامعة أخرى لدراسة الدكتوراه كما حلمت وبتشجيع الوالد والأخوة فور إنهاء الماجستير .

ذات ليلة من أواخر حزيران اتصل فواز شقيق باسمة بفهمي مخبرا برغبة الشيخ بهنس أبو سلمة المرور عليه للمجالسة والاطمئنان عليه، وستصحبهم زوجاتهم وبعض الأطفال الصغار

فرحب بهم فهمي وبعد صلاة العشاء كان في استقبالهم على مدخل الشارع وبعد التحايا ساقهم لغرفة الضيوف ، وكانت النساء قد سبقتهم في الدخول لحجرة استقبال أخرى وقال الشيخ : جئت اطمئن عليك وعلى أخت صديقنا فواز عساك بكل خير

اثنى الأستاذ على بهنس وفواز وقال مادحا : نعم الاختيار يا أبا سلمة ونعم النسب ..والحمد لله على نعمة الزواج ونعمة التوبة .. كان لقائي بك يوم سعد وبركة بالنسبة لي

قال فواز : الشيخ دائما يسألني عنك وعن الأحوال والصلاة

قال فهمي : الشيخ بركة .. واتصل بي صديقي رضوان شقيق الشيخ احمد صديقكم واخبرني أن الشيخ يلقى درسا أسبوعيا في مسجد حيهم وإن شاء الله سأرافقه للدرس

قال فواز : الشيخ الحبيب دائما له دروس توعية وتثقيف في عدد من مساجدنا

تناول فهمي الشاي من زوجته وعاد للترحيب وصب الشاي وتوزيعه وقال : على ذكر التثقيف اخبروني ما يقصد بالحركات النسوية في البلد والعالم ؟

قال الشيخ باسما : مزيد من المؤامرات على بناتنا وأخواتنا

قال فواز : النساء أدوات الشيطان في كل العالم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ، فَأَتَى زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً، فَقَضَى مِنْهَا حَاجَتَهُ، وَقَالَ: " إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ، فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلكَ يَرُدُّ مِمَّا فِي نَفْسِهِ " .

قال فهمي : أنا سمعت بها من زمان أقصد الحركات النسوية ، ولكني لم أحاول فهمها إلا من قريب .. لم أكن أفهم خطرها علينا كاسرة ومجتمع ..

قال فواز : تفضل يا شيخ بهنس أنت لك محاضرات عن النسوية في العالم واثرها في رفع سن الزواج القانوني في البلاد الإسلامية واثرها في العري والإباحية العالمية والاختلاط في المدارس وغيرها

قال بهنس وهو يضع الكوب فارغا ومشيرا للمزيد منه : حقيقة الأمر أنهم اتخذوا المرأة المسلمة

وسيلة لتفكيك المجتمعات الإسلامية بعدما نجحوا في بلادهم الفاسدة أصلا ، وفرض العديد من الحقوق والمطالب والمزاعم المخالفة للشريعة الإسلامية ، وللأسف أنهم وجدوا مساندة من قبل المرأة المسلمة والمؤتمرات الدولية والمواثيق والمنظمات والجمعيات الفكرية والحقوقية والنسوية؛ لتحقيق وتمرير ما يهدفون إليه ، من تغيير سلوكيات الناس حول النساء والعفة والزواج الشرعي .. تعرف النَّسوية نفسها : "منظومة فكرية أو مسلكية مدافعة عن مصالح النساء، وداعية إلى توسيع حقوقهن ، وأما المعجم الإنجليزي أوكسفورد الشهير فقال بأنها: "مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في مختلف الحقوق سياسياً واقتصادياً واجتماعياً" .. لاحظ المساواة كلمة المساواة وهذه في الإسلام خطأ كبير .. الأصح العدل .. العدل غير المساواة .. العدل أن يأخذ كل شخص حقه سواء كان ذكرا أم أنثى .. اعدلوا بين أولادكم لم يقل الرسول ﷺ سووا بين أولادكم .. والله يقول(ليس الذكر كالأنثى) هل يقبل عاقل أن يعطى الطفل مصروفا مدرسيا مثل شاب في الجامعة أو الثانوية ؟ هذا بقانون المساواة المزعوم مقبول .

والحركة النسوية الإسلامية والعربية تعتبر امتداد ا للحركات النسوية الغربية التي ظهرت في أمريكا وبريطانيا خلال القرن التاسع عشر الميلادي ، والتي ناضلت في سبيل الحصول على الحقوق الإنسانية للمرأة الغربية ؛ حيث كانت المرأة في تلك البلاد محرومةً من التصرف في مالها ولا تُوفَّر لها فرص التعليم والعمل ، وتمحورت مطالبهن حول الحقوق الفردية للمرأة في أن تُعاملَ على أساسٍ مساوٍ للرجل في إنسانيته .. في ديننا ملكية المرأة محفوظة وملكية الطفل اليتيم محفوظة بشرع الله سبحانه قال تعالى { وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (٤)} وقال في مال اليتيم {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦) }

قال فواز : حق المرأة المالي مدرج في القرآن والسنة ..حدثنا عن أسباب انحراف نساء العصر

ليزداد صديقنا وصهرنا معرفة بذلك الخطر الداهم .

قال الشيخ بهنس : الجهل الإنساني عدو البشرية الأهم .. هؤلاء القائمات على حركات المرأة في بلادنا يجهلن الإسلام أو يفهمنه فهما محرفا تبعا لتقاليد وعادات غير إسلامية تراكمت مع الزمن فيحسبها الناس من دين محمد ﷺ .. يعد الجهل بالشريعة الإسلامية من أبرز الأسباب الرئيسية للانحراف الفكري لدى النسوية؛ لأنهم يعتقدون بأنها سبب في القيود المفروضة على المرأة ، فالشريعة الإسلامية إنما جاءت ووضعت القيود والضوابط على جميع المسلمين بلا تمييز جنس عن آخر، بمقتضى العبودية لله سبحانه وتعالى ، وبمقتضى الإسلام الذي يدينون به، والمسلمون رجالاً ونساء ممتثلون لأوامر الشريعة ومجتنبون لنواهيها .. فالحجاب الشرعي على المرأة فرضه القرآن لم يفرضه الأب ولا الزوج

وهناك سبب آخر الاستعمار العسكري والفكري لبلاد العرب والإسلام : تعد المرأة المسلمة أحد أهم وسائل وأدوات الاستعمار الغربي لمحاولة تغيير المجتمعات الإسلامية ، لذلك جعلوا من قضاياها سلّما لتحقيق أهدافهم الماكرة والوصول إلى غاياته الدنيئة ، فاستغل المرأة وجعلها من أقوى الوسائل المستخدمة في تغيير التشريعات وتحريفها وتغيير الأنظمة والقوانين، وفي كسب السياسات وتوجيهها حتى صار يعول عليها في كثير من أغراضه وأهدافه.

ولدينا سبب آخر ومهم يا أخ فهمي .. الفراغ الفكري، وهو يعد من أبرز المشاكل التي تواجه المجتمعات في هذا الزمان، حيث إن خلو العقل مما ينفع ويفيد وامتلاؤه بما لا يفيد من التأثيرات الداخلية والخارجية السلبية يؤدي إلى إتباع أي فكر آخر ، بغض النظر عن محتوى هذا الفكر ودرجة صحته وموافقته لمنهج الشريعة الإسلامية.

قال فواز : وهناك العمل والشغل .. أدى تكريس مبدأ العمل لدى المرأة إلى انتشار العديد من الظواهر الخطيرة والقبيحة .. التسليع الجنسي للمرأة جعلها سلعة وهو التعامل مع المرأة على أنها شيء للاستعمال ، سلعة جنسية لا إنسانة تقيم بإيمانها وأخلاقها وأمانتها، ولا بذكائها ومهاراتها فلذلك لا ترى إعلانا في أي وسيلة إلا ويعتمد على صورة الأنثى لترويج البضاعة

والسلعة أو الخدمة .. فالزنا بالرضا لا يعتبر زنى ، فلا داعي للزواج والنفقة على الزوجة والأطفال .. تشبه بالحيوان الأعجم .. (أولئك كالأنعام بل هم أضل)

قال فواز : وقال تعالى أيضا {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ}

قال الشيخ : أحسنت يا فواز ! واضف يا صديقنا ظاهرة بيع الفتاة المحتاجة للمال عرضها لرجل يكبرها سنًا – أي في سن والدها –، فتبيت معه مقابل مبلغ من المال لتنفق على نفسها وعلى مصاريف دراستها الجامعية ، فأسرتها غير مستعدة لتحمل تكاليف الجامعة ما دامت قد بلغت السن المالي القانوني عندهم ١٨ سنة .. لا ننسى ظاهرة الدعارة أو بيوت الدعارة –ويعود انتشار تلك الظاهرة لعدة أسباب أبرزها الاستغناء عن عملها بقرار ذاتي أو يتم طردهن وبالتالي يضطررن لممارسة الدعارة والتجارة بأجسادهن لتامين معاشهن ومصروفهن .. التفكك الأسري ويعد من أهم الأسباب التي يلجأ فيها إلى ممارسة البغاء لكسب المال .. ودعم رجال الأعمال لهذا المواخير والملاهي القذرة سبب في انتشار بيوت الدعارة ؛ لأنها تخضع لرسوم مالية تصب في مصالحهم وثرواتهم ، والسعي لظهور النوادي الليلية والكازينوهات التي هي فرع من فروع بيوت الدعارة ويمارس فيها البغاء بشتى صوره وفنونه .

بعد صمت قال الشيخ : هل تعلم أن الدستور الأمريكي، منح المرأة حق التصويت في أغسطس عام ١٩٢٠ أي قبل اقل من قرن ساواها بالرجل في الانتخابات ، بينما في فرنسا تم تشريع قانون حق المرأة بالاقتراع عام ١٩٤٤ وتمكنت من التصويت في أول انتخابات عامة بعد الاحتلال الألماني .. وشهدت الفترة ما بين ١٩٤٥ – ١٩٧١ تشريع قوانين لمنح المرأة حق التصويت في كل من اليابان، الهند ، اليونان، الصين، المكسيك، الهندوراس، كندا، أستراليا، وسويسرا .. وغير ذلك من البلدان والعرب تبع لذلك ؛ كأن الانتخابات هي التي تحقق المساواة المزعومة وحقوق النساء الوهمية .

قال فواز : الخلاصة يا صديقنا هذه الحركات حركات هدامة وانتصرت في بعض الجوانب في هدم المجتمعات الإسلامية كما دمرت مجتمعات أوروبا وأمريكا وكما يقال الحبل على الجرار

قال بهنس : أما بريطانيا أم الاستعمار والتفتيت للدول العربية والإسلامية وزرع الحدود المصطنعة بينهم سمحت بريطانيا عام ١٩١٨ للمرأة بالتصويت لمن هنَّ في سن ٣٠ فما فوق من خلال مشروع قانون تمثيل الشعب ، بينما كان سن التصويت للرجل ٢١ عاما، وبعد عشر سنوات تساوى جميع البريطانيين في التصويت بعمر ٢١ سنة.

قال فهمي : شكرا لكم نور الله بصيرتكم وزادكم معرفة ومنفعة

***

تلقى فهمي اتصالا من رضوان وبعد التحية والسلام قال : سمعت أن الشيخ بهنسا كان في ضيافتك فلماذا لم تدعوني ؟ أنا احب هذا الشاب منذ سمعت أول حطبة جمعة له

ـ كانت زيارة عائلية حضرت زوجته وطفلتاه وحضر أخ عيلتي فواز وزوجته وكان معه طفل

ـ لو دعوتني لأحضرت أم الأولاد .. ففرصة أن تتعرف على زوجة بهنس

ـ المرة القادمة يا عمي .. فهو قد تبين لي صديق مهم لفواز شقيق العيلة يا عم رضوان

ـ حسن ! هل استفدت من الزيارة ؟ فالرجل واسع المعرفة رغم صغره يحفظ بسرعة كما قال لي أخي أحمد الحريص على صحبته ودروسه

ـ هذه حدث ولا حرج .. تكلم عن الحركة النسوية كلام مثقف وفاهم فعلا .. أنا أول مرة بفهم ضرر وخطر هؤلاء النسوة على التربية والأسرة المسلمة .. كنت أراه مجرد ثرثرة وجعجعة نعرفها من أخزم

ـ رائع ! لما نلتقِ سأسمع كل ما سمعته

ـ على قدر الإمكان أيها الصديق لست سريع الحفظ ..متى نلتقي ؟

ـ أنت عريس جديد لا يناسبك السهر في المقاهي والملاهي وترك العروس وحدها لأنصاف الليالي .. أنا ومحمود لدينا فتيان يحرسون زوجاتنا .. سنرتب لزيارة عائلية أيها الأخ الفاضل .. لعلك سعيد مع أخت فواز

ـ لحتى اليوم الأمور تمام .. هناك تلفون يرن عليّ .. سأعاود الاتصال بك

ـ مع السلامة سأزورك أنا ومحمود قريبا

اغلق الهاتف مع رضوان وفتح خط المكالمة التالية قائلا : أهلا خالتي السلام عليكم كنت احكي مع صديقي رضوان

قالت : وعليكم السلام .. ما هي أخبارك ؟

ـ الحمد لله بكل خير .. آ .. تفضلي يا خالة !

ـ جيد ! اتصل بي زوج امك مخبرا بإدخال امك المستشفى .. اخبر مها ومر عليّ إنها في مستشفى شرف مكان عمل المهندس موالي قبل التقاعد .. هو يحمل بطاقة تأمين من المستشفى رغم تقاعده

ـ مالها ؟

ـ لم يفصل قال تعرضت لمشكلة طبية وطلب مني إخبارك .. فانت لا تتكلم معه منذ تزوج امك ولم تدعوه لعرسك حتى امك لم تحضر زعلا

ـ لم يكن من المناسب دعوته .. ودعوت أمي وحدها ولكنها حردت

ـ انسى الآن اتصل بمها وأنا في الانتظار

***

ردت مها على الهاتف فسمعت صوت فهمي يلقي السلام ثم قالت قبل أن تعرف سبب اتصاله بها : لقد وجدت مستأجرة لشقة أمي ، صديقة لي أم لطفلين ..

ـ جيد ! لنؤجل موضوع التأجير .. اتصلت خالتي لتخبرني أن امك في المستشفى

قالت بهلع : أمي في المستشفى ! وأم حسيب أخبرتك

ـ زوج امك اتصل بها وأخبرتني فورا .. هل تذهبين معي كما تريد الخالة ؟

ـ إلياس في شقته سأتحدث معه .. فهي أمه أيضا سأرد عليك بعد قليل

ـ حسنا اخبريه

جلس ينتظر رد مها الذي جاءه بعد قليل وقالت : سيذهب واتصل بالمستشفى مستشفى شرف

وسأذهب معه نراك هناك .. وقد اشتغل فيه فترة

ـ صحيح .. سأمر على خالتي سنذهب سوية

ركب سيارته واخبر زوجته باسمة علاء الدين التي رغبت بمرافقته ، وسار لبيت خالته فوجدها في الانتظار ، فانتقلت باسمة للمقعد الخلفي وجلست أم حسيب بجواره وهي تحي باسمة وقالت : أين مها ؟

ـ ستذهب مع إلياس

ـ نسيت أنها أمهم .. أبو جميل ما زال غضبان منك لليوم لذلك تحدث معي

قال بغير اكتراث لحب أبي جميل : لا يهمني غضبه .. لم يجد في الدنيا امرأة يتزوجها إلا أمي

ـ النصيب يا فهمي النصيب .. كيف اهلك يا باسمة ؟

ـ كلهم بخير ويهدونك السلام والحب ، كلما نزروهم يبعثون لك التحية يا خالتي

قالت : وانا ارسل لهم معك السلام والشوق

خيم الصمت عليهم حتى وصلوا المستشفى ، ووصلوا لمكان العلاج فقيل لهم ما زالت تخضع للعلاج والمتابعة ، ظهر أبو جميل وابنته ، فسلم على أم حسيب وتجاهل فهمي وزوجته الذي ابتعد بدوره عنهم ، وبعد قليل قالت له خالته : الرجل زعلان منك ويقول امك لا تحب أن تراك فالأفضل أن تعود لبيتك

ضحك فهمي وقال : ها هو إلياس ومها يدخلون .. ولماذا طلب منك إخبارنا ؟!

تصافح الجميع وقالت أم حسيب : لم تخرج بعد من غرفة العمليات أو المراقبة .. يبدو أنها جلطة خفيفة وهي تحت الأجهزة الطبية .

قال فهمي لهم : سأجلس في كافتيريا المستشفى يا خالتي

قال إلياس : أنت زعلان يبدو !

ـ يزعم السيد أن أمي لا ترغب برؤيتي.. سأختصر الشر .. عندما نطمئن عليها سننصرف

سمعوا أبو جميل يقول لأم حسيب بصوت مسموع : نقلوها إلى سريرها خرجت من غرفة

المراقبة .. الأمور احسن كما يقول احد الأصدقاء .. أنا خدمت ربع قرن في هذه المستشفى المتواضع يا أم حسيب

ذهبوا إلى قسم أو جناح الأسرة في الطابق الأول ، كانت ترقد على السرير منهكة يبدو عليها الإرهاق والتعب سلم الجميع وقال إلياس : سلامتك يا أمي

قبلت مها وجنة أمها وقالت : الحمد لله على السلامة يا أمي

وكانت أم حسيب قد فعلت ذلك قبل مها وقالت أمهم : أين فهمي سمعت انه هنا ؟

قالت مها : في المطعم هو وزوجته .. نقل لنا أبو جميل عدم رغبتك برؤيتهم

نظرت لزوجها وقالت : أنا قلت ذلك !

فقال الرجل : لا تتعبي نفسك .. إنها متعبة .. إلياس سيطمئنهم عليك

لزمت الصمت وبعد أن اطمأنوا عليها غادر الثلاثة الغرفة ، واخبروا فهميا بالحال ، وقالت خالته وهم ينصرفون لسيارتهم : امك لم تعترض على زيارتك يا فهمي .. أبو جميل هو الذي يمنع ذلك .. إنه رجل حقود يا فهمي !

قال : أنا ادركت ذلك يا خالتي من نظاراته السوداء إليّ .. لن أسامحه على منعي من رؤيتها

ـ سكتت امك لما فهمت الموقف

***

تلقت مها اتصالا من دانيال الذي افرج عنه بعد ستة شهور قضاها في الحبس راغبا بعودتها إلى ذمته وأن يتزوجا من جديد فقالت : أولا الحمد لله على السلامة وثانيا من الصعب أن نعيش معا فأمك لم تكن تطيقني قبل أن يحدث ما حدث من عنف .

ـ نرحل بعد الزواج .. استطيع السفر لأستراليا .. لي أبناء عم هناك

ـ انتهى يا دانيال ما بيننا .. لن استطيع العيش معك وإعاقة الفرد بيننا

ـ سيتحسن مع الوقت .. والغربة تنسينا ذلك

ـ أرجوك لا تعد تفكر فيّ .. وانا تبت إلى الله وصرت اصلي وتعرفت على رمضان الفائت ولم اعد

اقرب الشراب المسكر .. تغيرت حياتي خلال شهور اعتقالك

ـ ما زلت احبك يا بنت الناس

ـ سأخطب قريبا .. أبي عرفني على رجل محترم

ـ وجدت عشيقا

ـ وجدت زوجا

ـ اسمعي لن أنساك أبدا

ـ بنات أستراليا احلى .. ستجد الكثير منهن .. أرجوك انتهى ما بيننا

وأغلقت السماعة وقالت باستفهام : خرج كيف قالوا سيحبس على الأقل ثلاث سنوات ؟ ..

المال والرشاوي تغير القوانين

بالفعل لقد سعى لها بدر الدين على عريس جديد ابن دكتور معه في الجامعة ؛ ولكن تأجل الحديث حتى تنتهي من الدكتوراه ، وتنسى حياتها مع أسرة دانيال بحصة .

تمت

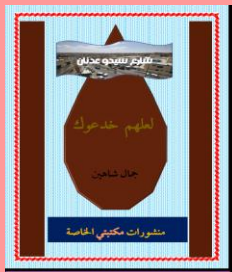
المحتويات

مدرسة جديدة ٢
حي علي.. ٨
جمعية عسكر ١١
أجواء دمشق العريقة ١٧
خطوبة... ٢١
صداقة ٢٧
زواج المطلقة ٣٣
جريمة ٣٦
لعلك مسحور ٤٤
لعلك مخدوع ٥٣
سقط الحمل.. ٦١
الصلاة مثلك... ٦٨


{هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ}

قصص شارع سيدو عدنان

١
لعلهم خدعوك

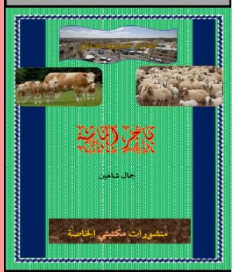




٢
غربة مهرب

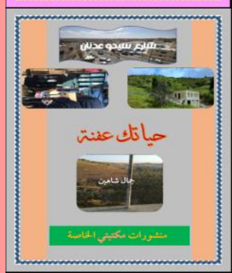
٣
زوجتك ابنتي

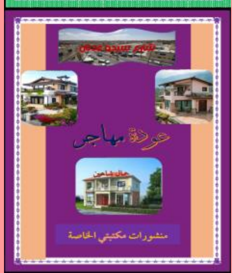




٤
تاجر الماشية

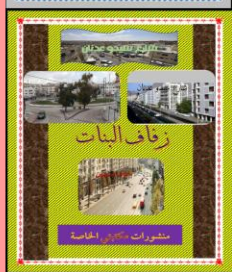
٥
حياتك عفنة





٦
عودة مهاجر

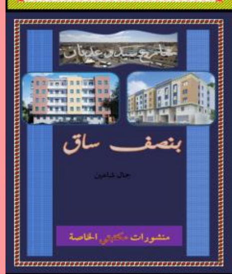
٧
زفاف البنات





٨
مقام رفيع

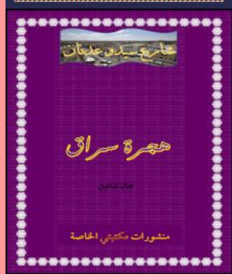
٩
بنصف ساق





١٠
ميراث البحار

١١
هجرة سراق



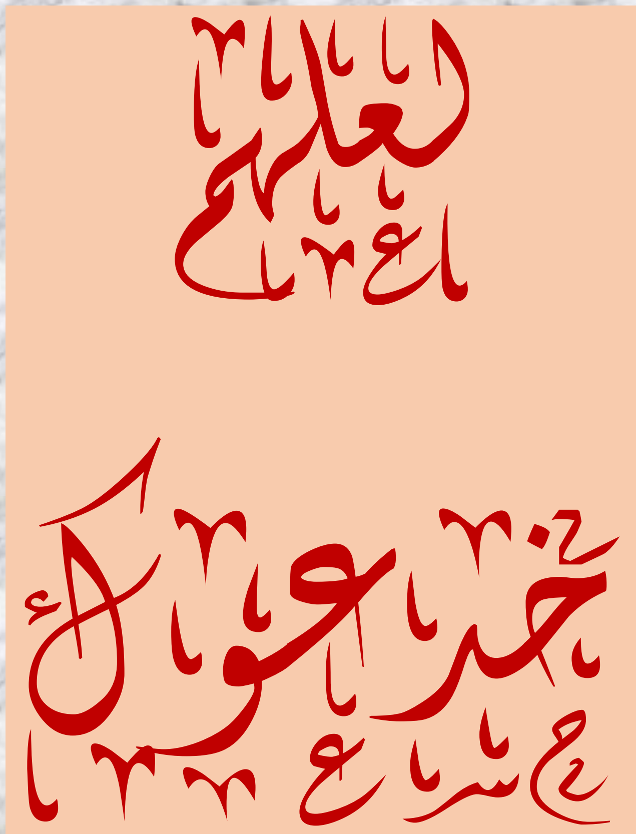


١٢
عضو البرلمان

شارع سيدو عدنان

١

صديقكم فهمي .. حكايتي كانت في شارع سيدو عدنان مثل حكاية كثير من الناس .. تركت خطيبتي بعد وفاة أمها لأننا كنا سنتزوج بضغط من أمي وأمها
كانت الصديقتان صديقتين من قبل أن نرى الشمس والشروق ونولد
والصدمة أن أمي المطلقة من عقود تزوجت والد مطلقتي الأرمل
فتزوجت فتاة من بلد آخر وعدت للبيت يوما فوجدت الزوجة قد هربت لبلدها



فتبين لي اني كنت تيسا مستعارا وكنت مخدوعا بزواجي منها فقيل لي انك مسحور وعرفت انني مخدوع
فتبت إلى الله وتزوجت الثالثة .. وها أنا أعيش معها لليوم بفضل ربي ولدي أبناء
والغريب أن أبي بدر الدين قد طلق أمي وانا طفل صغير ، ثم تزوجت أختي الأصغر مني وتطلقت هي الأخرى
وكان السبب إسقاطها للحمل غير المرغوب فيه ..

والحمد لله على كل حال

٢٠٢٥